الحميّة الإسلاميّة

في

الانتصار لمذهب ابن تيمية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعـة الثانية

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

جديدة منقحة



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥

الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠

Website: www. gheras. com

E-Mail: info@ gheras.com

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمّي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد راودتني - منذ سنوات - فكرة نشر القصيدتين:

* «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» للسرمرّي.

* وقصيدة أبي عبدالله الشافعي في الموضوع نفسه.

وبدأت بالتعليق عليهما قبل العدوان البعثي الحاقد على دولة الكويت وعندما خرجت منها بعد هذه الفاجعة الأليمة خروج المضطرّ، فاتتني مسودتهما الناقصة هناك.

ولما اطمأنت وعاودني النشاط، علّقت عليهما من جديد. واتجهت نيتي إلى أن ألحقهما بكتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» لوحدة الموضوع والهدف، ولكن حال دون ذلك حجم الكتاب المذكور.

وها أنا أقدّم هاتين القصيدتين بشيء من الشرح والتوضيح في مجموعة مستقلة، مع مقدمة تحتوي على أمور، ومنها:

* بيان سبب مهم من أسباب سقوط بغداد، وزوال الخلافة العباسية ودور العناصر الشريرة في ذلك.

* سبب تأليف «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية،

ومناقضة التقى السبكي هذا الكتاب، ووقيعته في مؤلفه، وهي السبب لنظم هاتين القصيدتين.

* تراجم الناظمين والتعريف بقصيدتيهما.

أشكر الله سبحانه وتعالى أولًا، إذ وفّقني على إتمام هذه المجموعة تقديماً وتعليقاً، ثم أشكر الإخوة الذين ساعدوني في النسخ والتصحيح، وخاصة الأخ الفاضل محمد عزير الذي راجع القصيدتين فأجاد وأفاد.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أذكر دور فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالحميد بن عبدالجبّار الرحماني (الرئيس العام لمركز «أبو الكلام آزاد» للتوعية الإسلامية بنيودلهي) في تنشيط «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» بموافقته على طبع عديد من الكتب العربية والأردية والإنجليزية تحقيقاً وتأليفاً ودراسة وترجمة. فجزاه الله خيراً.

نظراً إلى أهمية المطبوعات النافعة في محيطنا أنوّه بأن تقوم دور النشر بعد التعاون والتنسيق فيما بينها، بإصدار إنتاجات المؤلّفين القدامى منهم والمحدثين، حتى تظهر نشراتها حلقات متكاملة من كتب التراث المهمة، والرسائل العلمية، والبحوث الهادفة التي تخدم الدعوة على منهاج النبوة.

والله الموفّق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

صلاح الدين مقبول أحمد

التمهيد

إن للحق والعدل، والعزة والشرف، والمجد والكرامة تأريخا، كما للجور والعدوان، والذلة والمهانة، والخيانة والنذالة تأريخ. وشتّان بين التأرخين:

تأريخ حافل بالأمجاد والبطولات والمآثر والمفاخر.

وتأريخ مثقل بالأحقاد والنكسات، والمساوئ والمخازئ.

ولكلّ من التأريخين عمالقة وأقزام.

عمالقة التأريخ الناصع من أصحاب القرون المشهود لها بالخير ومن تبعهم في العقيدة والدين، والعلم والثقافة والمنهج والسلوك... معروفون في كل زمان ومكان.

وأقزام التأريخ الأسود المنافقون المندسّون في الصف الإسلامي - أيضاً - معروفون في كل عصر ومصر.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

الصراع بين الحق والباطل قديم قِدَمَ وجود الإنسان على وجه هذه المعمورة، وزاد هذا الصراع شراسة وشرارةً بعد مجيء الإسلام كآخر الرسالات السماوية إلى الإنسانية جمعاء.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وكانت الغلبة والتمكين، بفضل الله العلي القدير، في نهاية المطاف للحق. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

حصل من هذه الغلبة التمكين في القلب المؤمن، ولكن بقى التمكينُ في القلب المنافق لكونه كالكوز مجخّيا، محل استفهام وتساؤل. فنشأ من رواسبه أمثال عبدالله بن سبأ اليهودي الماكر، وابن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء بني العباس، والنصير الطوسي الباطني وزير هلاكو، وتلميذه ابن المطهر الحلّى الرافضي وغيرهم من المنافقين الذين خانوا البلاد والعباد، فباءوا بغضب من الله إلى أبد الآباد.

منيت الأمة الإسلامية على مدار تأريخها الطويل بمحن وقلاقل، وحروب ومعارك، ونكبات ونكسات لا يحصيها إلا عالم الغيب والشهادة - سبحانه وتعالى -، بدءاً بمؤامرة عبدالله بن سبأ اليهودي المتنكّر المندسّ في الصّف الإسلامي - إلى ما لا نهاية.

ولكن وطأة زوال بغداد (سنة ٦٥٦ هـ) كانت أشدّ وأنكى على الأمة، لأنها نخرت جسمها وهدّت كيانها، وزعزعت ثقتها بقواتها العسكرية ومواردها الاقتصادية، وشخصيتها الإسلامية.

هل كان الاحتلال العسكري لدار الخلافة، واستلاب الدولة العباسية بكاملها، بل محوها من خريطة المعمورة أمراً عفوياً؟

معلوم أن «هلاكو» كان من العبقريات الشريرة في العالم، إذن

نزعته التوسعية التي ورثها من أجداده لم تكن غريبة.

إنما الغريب في هذه الكارثة الفظيعة المؤلمة الوجيعة، ما حلّ بالمسلمين العزّل - رجالًا ونساءً وشيوخاً وأطفالًا -، من الإذلال والإهانة، واستحلال الحرمات واستباحة الأعراض والأموال، وسفك الدماء وقتل الأبرياء، ما تقشعر منه الجلود وتتفطر منه القلوب حزناً وأسى.

وزد إلى ذلك أن الخليفة استسلم بنفسه قبل دخول «هلاكو» في بغداد من غير أي مقاومة سرّية أو مواجهة عسكرية.

إذن لماذا هذا كلّه؟!

هنا يقف الإنسان واجماً أمام هذه الوقعة الفاجعة، وتجول في خاطره تساؤلات كثيرة، بحثاً عن الإجابة عنها:

لماذا كانت هذه النكاية في المسلمين؟

لماذا تأجّجوا عليهم حقداً وحنقاً، فاستباحوا أموالهم وأعراضهم ودماءهم؟

لماذا سلبوا البلاد من أهلها ووسّدوها إلى غير أهلها؟

لماذا... ولماذا...؟؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات سهل ميسور على الملمّين بالعناصر الشريرة في طيّات التأريخ الإسلامي، التي تعمل في الظلام عملًا دءوباً لنقض عرى الإسلام وإضعاف أهله وإبادتهم دونما ملل

وكلل وحياء وخجل.

حدث أن تولّى محمد بن العلقمي وزارة المستعصم بالله (آخر خلفاء بني العباس) وكان ابن العلقمي علقماً لأهل السنة، وشيعيّاً جَلْداً ورافضياً خبيثاً، وفاضلًا في الأدب والإنشاء[(١)] فاستغلّ منصبه في الدولة وحظوته عند الخليفة، وبدأ ينفث سمومه رويداً رويداً في قلب الخلافة العباسيّة، حتى تفاقم شرّه وتسرّب إلى مواقع حساسة في الدولة. ولما أحكم قبضته عليها لم يتأخر عن تمهيد السبيل لتدمير الخلافة حسب خطته في مراحل، ومن أهمها:

* **تقليل قوام الجيش**: تهتم الدول من قديم الزمان بتكوين الجيوش التي تكون على مستوي رفيع من التنظيم والإدارة، والهمة والإرادة، والشجاعة والمغامرة؛ لأن الجيش يعتبر عموداً فقرّياً للدولة، وشوكتها تظهر أمام العالم بجيشها القويّ وعدّته وعتاده: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

شعوراً بواجبه التفت ابن العلقمي إلى تقليل الجيش وإهانته

---

(١) صدق في ابن العلقمي ما هجابه سهل بن بركة، أبا نوح النصراني الكاتب:

أبي وأمي ضاعت الأحلام ... أم ضاعت الأذهان والأفهام

من صدّ عن دين النبي محمد ... أله بأمر المسلمين قيام

إلا تكن أسيافهم مشهورة ... فينا فتلك سيوفهم أقلام

لا، والله بل جمع ابن العلقمي بين السيف والقلم لإبادة المسلمين، فكان أدهى بكثير وأنكى من الكاتب النصراني المذكور.

وإذلاله لكسر شوكة الخلافة.، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر (والد المستعصم) قريباً من مائة ألف مقاتل... فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف»[١].

* **معاداة أهل السنة**: زادت تحركات العناصر الشريرة في الدولة تحت وصاية الوزير ابن العلقمي ضد علماء السنة وأكابر البلد. وإذا انضمّت إلى ذلك تصرفاته المهبولة المغرضة ضد الجيش وعامة المسلمين، كان يكفي لإثارة غضب الجماهير على الرافضة، وحصل ذلك بالفعل. قال ابن كثير:

«وفيها [أي سنة ٦٥٥هـ] كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنّة، فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار»[٢].

لما توجّس ابن العلقمي إرهاصات اليقظة في أهل السنة، ورأى ذلّ نفسه وهوان أقربائه عليهم، وعلم أنّ البهت والمؤامرة، والنذالة

---

(١) البداية والنهاية (١٣/٢٠٣) وقال أيضاً - هو يصف ذُلّهم وهوانهم عند الوزير الرافضي -:
«وقد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد.... وذلك كلّه عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي...» (المصدر نفسه: ١٣/٢٠١).

(٢) البداية والنهاية (١٣/١٩٦) وقال أيضاً:
«فكان هذا مما أهاجه على أن دبّر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد، وإلى هذه الأوقات» (المصدر المذكور: ١٣/٢٠١).

والخيانة دورها سينتهي: «. . . كاتبَ التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهَّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال. وذلك كلّه طمعاً منه أن يزيل السنّة بالكلية، وأن يظهر بدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين. . .»[١].

لقد زحف «هلاكو» مع مائتي ألف مقاتل إلى بغداد، وأوّل من برز إليه مهنئاً له ومرحّباً به هو ابن العلقمي، ثمّ رجعَ وأشار على الخليفة بالمثول بين يديه لتقع المصالحة، فخرج مع سبعمائة راكب من أعيان الدولة وأكابر البلد فقُتلوا عن بكرة أبيهم.

وأشار ابن العلقمي والنصير الطوسي والملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على «هلاكو» بقتل الخليفة: «فقتلوه رفساً. . . وقيل: بل خنق، ويقال: بل أغرق، - فاللّه أعلم - فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلاده. . .»[٢].

تمّ احتلال بغداد، بعد قتل الخليفة وأكابر الدولة وأعيان البلد بدون مقاومة، فلماذا وضعوا السيف في رقاب الأبرياء من المسلمين؟

أشار أولئك الملأ من الرافضة على «هلاكو» بقتلهم شفاء لغيظهم منهم. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) المصدر نفسه (١٣/٢٠٢).

(٢) المصدر المذكور (١٣/٢٠٢)

* ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبّان.

* ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون.

* وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار، إمّا بالكسر وإمّا بالنار، ثمّ يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة.

* ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي...

* وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل، والله أعلم.

* وقتل أستاذ دار الخلافة - وكان عدوّ الوزير -، وقتل شيخ الشيوخ مؤدّب الخليفة، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدّة شهور ببغداد.

* وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه، فيذبح كما تذبح الشاة، ويأسرون من يختارون من بناته وجواريه[(١)].

---

(١) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣).

كان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرّم بمائتي ألف مقاتل ممن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وجيوش بغداد في غاية القلّة ونهاية الذلّة لا يبلغون عشرة آلاف فارس. ومازال السيف يقتل أهل بغداد أربعين يوماً.

وقد اختلف الناس في كميّة من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة. فقيل: ثمانمائة ألف. وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس. فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم[١].

«ولما انقضى الأمر المقدّر، وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاويةً على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس [بعد ما كانت آنس المدن]، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيّرت صورهم، وأنتن من جيفهم البلد وتغيّر الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغيّر الجو وفساد الريح. فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى نبشوا من قبورهم، وقد أنكر

---

(١) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٠ - ٢٠٢). ويقال: «إن هلاكو أمر بعد ذلك بإحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف وثمانمائة ألف، والذي لم يحصوه أضعاف ذلك» (حياة شيخ الإسلام بن تيمية للعلامة محمد بهجة البيطار (ص ١٣٣ المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ).

بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا عمن سبقهم من القتلى واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٧ - ٨][(١)]

كان وصول «هلاكو» إلى بغداد في ثاني عشر المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، وحصل دخوله فيها في أواخر المحرم، ورحل هذا السلطان المسلَّط عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقرّ ملكه.

وفوّضَ أمر بغداد إلى الأمير على بهادر، وإلى الوزير ابن العلقمي فلم يمهله الله - ولا أمهله - بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاثة وستين سنة، فمات هذا الشيعي الجلد والرافضي الخبيث جهداً وغمّاً وحزناً وندما، إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم.

فولّى بعده الوزارة ولده عزالدين بن الفضل محمد ابن العلقمي فألحقه الله بأبيه في بقيّة هذا العام. ولله الحمد والمنة.

كان ابن العلقمي شديد الحنق على أهل السنة ودولتهم، فدبّر هذه المؤامرة الخبيثة للقضاء عليها، وأراد أيضاً أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمرّ بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة ينشرون عِلْمَهم وعلَمَهم بها وعليها فلم يقدره الله

---

(١) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٣).

تعالى على ذلك. والله غالب على أمره، ورَدَّ كيده في نحره، وأذلّه بعد العزّة القعساء وجعله ذنباً للتتار بعد أن كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير ربّ الأرض والسماء[(١)].

لما كان ابن العلقمي وزيرَ المستعصم أراد النصير الطوسي دخول بغداد ونشر أفكاره المسمومة بمعاونة الوزير المذكور، وأنشأ قصيدة عربية في مدح المستعصم، وطلب من الوزير أن يعرضها على الخليفة. فلما علم ابن العلقمي مكره ودهاءه وعقله، فخاف من قربه للخليفة فكتب ابن العقلمي سرّاً إلى ناصر الدين المحتشم (وزير السلطان علاء الدين الإسماعيلي الباطني) الذي كان الطوسى عنده: بأنه ابتدأ بالمراسلات عند الخليفة، وأنشأ قصيدة في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لا يوافق الرأي، فلا تغفل عن هذا.

فلما قرأ المحتشم كتابه حبس النصير الطوسي. فلما أراد الخروج إلى علاء الدين ملك الإسماعيلية في حصن الموت صحب الطوسي معه محبوساً. فمكث المحقق عند الملك.

دان الطوسي بالولاء للوزير ناصر الدين المحتشم الإسماعيلي إلى أن ألفّ كتاباً سمّاه (الأخلاق الناصرية) وفيه الرخصة في شرب الخمر وما إلى ذلك.

وإلى جانب صلة النصير الطوسي بالإسماعيلية، واعتناقه لمذهبهم

(١) المصدر المذكور (١٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣، ٢١٢).

اتصل بهلاكو وأصبح مقرَّباً عنده وأشار عليه بقتل المستعصم وذبح المسلمين ببغداد(١).

«هذا البلاء الأعظم الذي وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتار الوثنيين هو الذي وصفه مؤرخ الشيعة [الميرزا محمد باقر] الخوانساري بلسان الشماتة والابتهاج في ترجمة النصير الطوسي:

«ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أي الطوسي) للسلطان المحتشم... ومجيئه في موكب السلطان المؤيّد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نار الجور والإلباس بإبادة دائرة ملك بني العباس!! وإيقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء الأشرار»(٢).

تصوّروا ما كان بين ابن العلقمي والنصير الطوسي من نبوة ومنافرة لأجل مصالحهما الشخصية الدنيئة حتى وصل الأمر إلى

---

(١) راجع مقدمة الدكتور محمد رشاد سالم على كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (١/ ٩٤ - ٩٥) نقلًا عن «روضات الجنات» للخوانسارى (٥٧٩ - ٥٨٢) و«دائرة المعارف الإسلامية»: مادة الإسماعيلية» (١٨٩ - ١٩٠)
وراجع أيضاً: البداية والنهاية» (١٣/ ٢٦٧).

(٢) راجع «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» للبيطار (١٣٢ - ١٣٣) وهذا الكلام نقله العلامة محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ عن «روضات الجنات» للخوانسارى (ص ٥٧٨ الطبعة الثانية).

الوشاية والنكاية والحبس والسجن.

ولكن لمّا كانت القضية ضدّ الدولة العباسية، ومحوها من الوجود، وإبادة العباد ودَكِّ البلاد، كيف اجتمع هؤلاء الملأ من الرافضة والإسماعيلية على الشر والفساد، ناسين كل ما حصل بينهم من الجفوة والعناد؟!

زالت الدولة العباسية بمؤامرة داخلية دنيئة نسج خيوطها الوزير ابن العلقمي لحنقه الشديد على أهل السنة ودولتهم، وأعانه عليها النصير الطوسي وزير «هلاكو» شماتة بالمسلمين وتمّ الانتصار العسكري على بغداد، وما تلاه من الغزو الفكري أشدّ وأنكى.

تتوارث الشرور والأحقاد كما تتوارث الحسنات والفضائل. لما وجدت هذه الطغمة الضالة المضلّة طريقاً إلى مناصب الدولة بدأت تبيض وتفرخ، وكانت دائماً بالمرصاد لتتصيّد سفهاء الأحلام والرعاع الطغام ليقدّموا خدمة لدعاة الشر والفساد والإباحية والانحلال.

شرعت هذه الشراذم الباغية في الغزو الفكري لهذه المناطق الإسلامية بعدما حصلت لها الانتصارات العسكرية، وسنحت فرصةٌ سانحة لتلميذ[١] النصير الطوسي الباطني: جمال الدين ابن المطهر

---

(١) وقد كانت صلة ابن المطهر الحلي بالنصير الطوسي وثيقة، وكان له أعمق الاحترام والتقدير، فهو يقول عنه في نسخة إجازته الكبيرة لسادات بني زهرة: «وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية... وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق قرأت عليه إلاهيات «الشفاء» لابن سينا...» (منهاج السنة: ١/ ٩٢ مقدمة المحقق) نقلا عن «روضات الجنات (ص ٥٧٨)، والبداية والنهاية (١٤/ ٧٧)، والدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٧١).

الحلّي الرافضي (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) (أحد رموز الدعوة إلى الرفض والتشيع) للتقرب إلى الملك (خدابنده) بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن طلو بن جنكيز خان المغولي، فأفرغ جهده في إضلاله بتقوّلاته إلى أن نجح في مهمته وترفَّض الملك[١].

كيف انطلى مذهبه الفاسد على هذا الملك المائع[٢] في عقيدته ودينه؟

ولماذا؟

فيه روايتان:

١- اهتم السلطان بمعرفة مذهب الإمامية، وانعقدت المناظرة بين السنّة والشيعة فغلب ابن المطهّر الحلّي بحجته على خصمه فترفّض الملك (خدابنده).

٢- أن السلطان غضب يوماً من امرأته فطلّقها ثلاثاً ثم ندم وجمع العلماء فقالوا: لابدّ من محلّل.

---

(١) قال ابن كثير: «أظهر الرفض، أقام سنة على السنّة ثم تحوّل إلى الرفض... أقام شعائره في بلاده ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة (أي ٦١٦ هـ). وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلاد. وقام في الملك بعده ولده أبو سعيد... ولعب كثير من الناس به في أوّل دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة وأمر بإقامة الخطبة بالترضى عن الشيخين... ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرور (البداية والنهاية: ١٤/ ٧٧)

(٢) نقل الدكتور محمد رشاد سالم في مقدمته على «منهاج السنة» (١/ ٩٦) عن بعض الكتاب: أن (خدابنده) نشأ مسيحيّاً إذ عمد بأمر أمّه «أروك خاتون»، وسمّى «نيقولا»، ثمّ اعتنق الإسلام على رغبة زوجته» ثم ارتد عن الإسلام برغبة ابن المطهر الحلى الرافضي.

فقال أحد وزرائه: إن عالماً بالحلّة يقول ببطلان هذا الطلاق، فبعث الملك إلى ابن المطهّر الحلّى فأفتاه بأن الطلاق الذي أوقعه باطل، لأنه لم تتحقق شروطه، ومنها وجود شاهدين عدلين.

قال الخوانسارى:

«ثمّ شرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعاً فتشيّع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الاثنى عشر، ويضربوا السكك على أسمائهم وينقشوها على أطراف المساجد والمشاهد منهم. . .»[١]

وقد ارتفعت منزلة ابن المطهر بعد ذلك عند (خدابنده) حتى فاقت منزلة سائر العلماء المتصلين به. وكان يحرص على أن يلازمه على الدوام حتى أنه - كما روى الخوانسارى - أمر بإقامة مدرسة سيّارة له - ذات حجرات من الخيام - كانت تحمل مع موكب السلطان أينما ذهب[٢].

(١) منهاج السنة (١/ ٩٧ مقدمة التحقيق) نقلًا عن «روضات الجنات» (ص ١٧٥) وقال ابن كثير: وفيها (أي في سنة ٧٠٩ هـ) أظهر ملك التتر (خدابنده) الرفض في بلاده، وأمر الخطباء أوّلًا أن لا يذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب ﷺ وأهل بيته، ولما وصل خطيب بلاد الأزج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاءاً وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة، فأقيم من أتمها عنه، وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبيط الدولة وكثرة الخلاف. (البداية والنهاية: (١٤/ ٥٦)

(٢) المصدر المذكور (١/ ٩٨) عن «روضات الجنات» (١٧٥ - ١٧٦)

وقال ابن كثير:

«وحظى عنده جمال الدين ابن المطهر الحلّى تلميذ النصير الطوسي وأقطعه عدّة بلاد...»[١].

لقد استغلّ الحلّى حظوته عند الملك ووجاهته عند أعيان الدولة في ترويج مذهبه الفاسد.

وما كان له أن يصل إلى ما وصل إليه من المنزلة عند الملك، لو لم يكن جمود المتفقهة في مسألة الطلاق المذكورة على الرأي المذهبي الذي ألحق بالأمة الإسلامية خسارة فادحة تتقاصر دونها كارثة زوال بغداد، ودفع تلك المنطقة إلى هوة الرفض والتشيع.

أما كان لهؤلاء المتفقهة وفي هذا الموقف الحرج أن يرجعوا إلى ما كان عليه الأمر في زمن النبي ﷺ، وخلافة أبي بكر، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما وهو أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة؟[٢]

أما كان لهم أن يتعقلوا مؤامرة ابن المطهر الحلّى ضدهم بتطييب خاطر الملك بحلّ شيعي في مسألة الطلاق هذه، وعندهم حل نبوي مهجور؟!

كان لهم أن يتفطّنوا لهذا وذاك ولكن التعصب والجمود والعناد...

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٧٧، ١٢٥).

(٢) راجع «صحيح مسلم» (كتاب الطلاق)، ومسند أحمد (١/ ٣١٤).

لا أرى موجة هذا الردّة إلا نتيجة لمخالفتهم سنّة النبي ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إيغالًا في مزيد من الغي والضلال ألّف ابن المطهر الحلّى كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» ليستفيد منه الملك المذكور في اعتقاده الفاسد ومذهبه الكاسد[1]، وليدقّ به آخر مسمار في تابوته هو ومن تبعه من الرعاع (والناس على دين ملوكهم)، فتكون لهم حسرة وندامة يوم القيامة، ولات حين مناص:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

تضمّن هذا الكتاب مقدّمة وستة فصول على النحو التالي:

* المقدمة: في بيان موضوع الكتاب، والغرض من تأليفه، وهو تقديمه إلى الملك (خدابنده).

* الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة.

* الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع.

* الثالث في الأدلّة على إمامة عليٍّ بعد الرسول ﷺ.

* الرابع: في باقي الأئمة الاثنى عشر.

(١) منهاج السنة (١/ ٧٤).

* الخامس: في أن من تقدّمه لم يكن إماماً.

* السادس: في نسخ حججهم على إمامة أبي بكر»[١]

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

نظراً إلى دور ابن المطهر الخطير، وحظوته البالغة عند الملك، وعدائه السافر لأهل السنة، وتأثره الشديد بشيخه الغاشم: النصير الطوسي، وانطلاء كتابه «منهاج الكرامة» على الجهلة من الناس، كان أهل السنة والجماعة في غاية من القلق والحيرة، باحثين عمن يناقض كتابه بالأدلة الدامغة من النقل والعقل ليكون على الرافضة حجة في الدنيا قبل الآخرة. فوقع اختيارهم - وعلى خبير وقعوا - على شيخ الإسلام، «فانتدب في الردّ عليه في مجلّدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل»[٢].

قال شيخ الإسلام في مقدمة «منهاج السنة»:

«أما بعد: فإنه قد أحضر إليّ طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنّفه بعض شيوخ الرافضة في عصره منفقاً لهذه البضاعة يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية. . .

وذكر من أحضر هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم عند من مال إليهم من الملوك وغيرهم، وقد صنّفه للملك

---

(١) منهاج السنة (١/ ٧٣ - ٧٥) ومقدمته لمحققه الدكتور محمد رشاد (١/ ٩٩ - ١٠٠).
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٢٥).

المعروف الذي سمّاه فيه (خدابنده)، وطلبوا مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب لما في ذلك من نصر عباد الله المؤمنين، وبيان بطلان أقوال المفترين الملحدين.

فأخبرتهم أن هذا الكتاب وإن كان من أعلى ما يقولون في باب الحجة والدليل فالقوم من أضلّ الناس عن سواء السبيل فإن الأدلة إما نقلية وإما عقليه والقوم من أضلّ الناس في المنقول والمعقول في المذاهب والتقرير، وهم من أشبه الناس بمن قال الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠][١].

لقد قيّض الله تعالى شيخ الإسلام لتقويض ما شيّده ابن المطهر الحلّي على شفا جرف هار، بالأدلة الدامغة والحجج الواضحة من النقل والعقل في «منهاج السنة». وهو كتاب قيّم عظيم حافل جليل في غاية الجودة والإفادة مع استطرادات نافعة لا توجد في غيره.

والحق أن كتاب «منهاج السنة» أثلج صدور أهل السنة ووأغر قلوب الرافضة وغيرهم من أهل البدع والأهواء[٢].

---

(١) منهاج السنة (١/ ٤ - ٨).

(٢) كان محمد زاهد الكوثري الجركسي (١٢٩٦ - ١٣٧١ هـ) حامل لواء التجهم وألدُّ أعداء السنة ودعاتها في العصر الحاضر - معروفاً بعدائه السافر لعلماء الأمة الأعلام، خاصة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وما من كلمة نابية أو شتيمة مهجورة إلا واستعملها في حقّه وحقّ تلميذه ابن قيم الجوزية، وإمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من علماء السنة المتقدمين و لمتأخرين.

لما رأى هذا المخلوق الستأجج حقداً وحنقاً على شيخ الإسلام أنه وُفّق توفيقاً عجيباً في ردّه على ابن المطهر الحلّي، وشرذمته الضالة، لم يتأخر في مسخ الحقيقة وتشويه التأريخ، وحاول بكل وقاحته أن يغيّر فضيلة بزذيلة يكذّبها التأريخ والواقع، ولكن =

....

= المهم يشفى بها غيظه بدون حياء، رضى الناس أم أبوا.

لقد انبرى علامة الشام محمد بهجة البيطار لهذا التشويه فكتب تحت عنوان:

«كذب مفضوح في كتاب مطبوع»

«ولو كان هذا الرجل - الكوثري - ممن يتقي الله ويبالى خزى الدنيا ويوم الحساب، لما رضى لنفسه هذا الموقف الشاذ الذي وقفه من حملة القرآن، ودعاة السنة وحماتها، ولما استباح لنفسه الكذب في التاريخ والتجني على أئمة الدين ومفاخر المسلمين في كل العصور.

لا أطيل القول عليك أيها القارئ الكريم، إنما أنقل لك جملة مما قال في كتابه الأخير الذي سمّاه «إشفاق على أحكام الطلاق». . .

فقد عرض في كتابه هذا لنابغة الإسلام الإمام ابن تيمية كدأبه في عامة ما يكتب ولكن هذه الكتابة من أفضح ما كتب وأخزاه، قال- هداه الله - (٧٣):

«ولولا شدّة ابن تيمية في ردّه على ابن المطهر في منهاجه، إلى أن بلغ به الأمر أن يتعرض لعلي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - على الوجه الذي تراه في أوائل الجزء الثالث منه، بطريق يأباه كثير من أقحاح الخوارج مع توهين الأحاديث الجيدّة في هذا السبيل - لما قامت دولة الغلاة من الشيعة في بلاد الفرس والعراق وشرقي الأسيا (كذا) الصغرى وأذربيجان من عهد الملك المغولي خدابنده.

وابن المطهر لما وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا،، قال: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامي، ولكن جوابي يكون بالفعل، حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنيّة من تلك الأقطار، إلى دولة غالية في التشيع بحمل خدابنده الملك الشعوب على التمذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع في تلك البلاد منذ عمل ابن تيمية هذا، ولو كان يسعى بحكمة لما بعدت شقة الخلاف بين الإخوان المسلمين على الوجه الذي تراه.ا هـ.

أقول: كلامه هذا صريح في أن الإمام ابن تيمية هو الذي أثار ثائرة الشيعة بتعصبه عليهم وطعنه فيهم وتنقيصه عليّا بما يأبى مثله الخوارج، وأنه هو الذي حمل ابن المطهر على هذا الغلو في التشيع، والسعي في نشر المذهب من عهد الملك المغولي خدابنده الذي تشيع وقلب دولته شيعية بسعى ابن المطهر الحلى هذا، وأن «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» لشيخ الإسلام هو الذي زاد النار ضراماً. الخ.

سبحان الله!! ما أجرأ هذا الرجل على تشويه الحقائق وإفساد التأريخ! فهو ممّن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا وإليك الجواب عن هذا الكذب الصريح:

١- إن شيخ الإسلام لم يؤلف كتابه ابتداءً، ولكنه ألّف ردّاً على كتاب الحلى =

....

= الشيعي... قد أحضر إليه كتاب الشيعي ولم يكن رآه، وطلب منه أهل السنة والجماعة ردّ مفترياته على أهل السنة، وهو شيخهم بل شيخ الإسلام، ومن أولى منه ببيان الحق وأقدر منه عليه.

٢- إن الملك المغولي خدابنده ترفض أو تشيع على يد ابن المطهر الحلّي قبل صدور ردّ شيخ الإسلام عليه... [لأنه ترفض حوالى سنة ٧٠٩ هـ، وعلى قول الخوانساري سنة ٧٠٧هـ وألف الحلى «منهاج الكرامة» حوالي هذه المدّة، وعلى هذا يكون شيخ الإسلام قد ألف «منهاج السنة» بعد ذلك أي حوالى سنة ٧١٠ هـ].

٣- إن أقصى ما يكون في كلام شيخ الإسلام هو الدعوة إلى الاعتدال في الأقوال والأعمال، وتخفيف غلو الغالين في العقائد، وتقليص ظلّ عصبيات أهل البدع والأهواء، ودفع أكاذيبهم وأباطيلهم، والغرض من ذلك كلّه تنوير العقول، وتقريب القلوب...

هذه نبذة صغيرة من كلام شيخ الإسلام مصدّقة لما ذكرناه:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الرافضي فإذا قدح في معاوية بأنه كان باغياً ظالماً.

قال له الناصبي: وعليّ أيضاً كان باغياً ظالماً لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال... - إلى أن قال -: فالخوارج والمروانية وكثير من المعتزلة وغيرهم يقدحون في عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكلّهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون». اهـ.

فأنت ترى شيخ الإسلام يحكي كلام الروافض والنواصب والخوارج، ولكنه لا يحكم لفريق على فريق، بل يحكم بأنهم مخطئون مبتدعة ضالون، خلافاً لما يزعمه الكوثري، المقلّد الغبي، من انتقاص مقام الإمام عليّ، فما أضيع البرهان عند المقلّد!.

[راجع هذا النوع من الأمثلة في كتاب «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة: ٣٤٣ - ٣٤٤].

٤- وأوضح وأفضح مما تقدّم... دعواه أن ابن تيمية هو سبب الغلوفي التشيّع، وبسط سلطانه في الأرض، ويوهم كلامه أو يفهم أن السلطان خدابنده ترفّض ونشر مذهب ابن المطهر بسبب ابن تيمية...

ونحن ننقل لك بعد هذا الكلام ما ذكره الشيعة الإمامية أنفسهم في سبب ترفض الملك خدابنده، ليعلم مبلغ هذا الرجل من تحريف التأريخ، وقلب الحقائق الواقعية بكل وقاحة أو صفاقة، ونسجل عليه حقده وتعصبه على رجال الإسلام العظام وافتراءه عليهم الكذب الصريح. [ثم نقل كلام الخوانساري في «روضات الجنات» الذي تقدّم في مسألة الطلاق - إلى أن قال -:]

«ثم قال [أي الخوانساري]:

هذه اليد العظمى والمنة الكبرى التي له [أي لابن المطهر] على أهل الحق [أي =

. . . .

= الرافضة] مما لم ينكره أحد من المخالفين والموافقين، حتى في بعض تواريخ العامة (أي أهل السنة) رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة ومن سوانح سنة سبع وسبعمائة، وأظهر خدابنده شعار التشيع بإضلال ابن المطهر. اهـ.

أعَلِمْتَ الآن أيها القارئ الكريم السبب الذي من أجله ترفّض هذا الجاهل الأعجمي المغولي وأنه مسألة شخصية، لا دخل فيها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا لكتاب منهاج السنة النبوية، وهو كونه طلّق زوجته ثلاثاً وهو غضبان، واستفتى أمثال الكوثري من علماء عصره فأفتوه بالمحلّل... وقال الملك لهم: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أوليس لكم هنا اختلاف؟ قالوا: لا، لابدّ من المحلّل - أي الملعون بلسان الرسول ﷺ هو والمحلل له، فاستنكف الملك عن هذا التحليل الذي هو زنا صريح. ولو أخذوا بما كان عليه الطلاق الثلاث في عهده ﷺ وعهد صاحبيه، لخرجوا من جحر الضبّ الذي أوقعوا الملك معهم فيه ولو اهتدى إلى شيخ الإسلام لوجد لمسألته عنده حلّا نبوياً سنيّاً غير شيعيّ، ولكن الكوثري يلبس شيخ الإسلام ذنب غيره، فعليه ما يستحقّ من ربه.

لماذا تسكت أيها الكوثري عمن أحرجوا الملك فأخرجوه من بينهم، وتطعن في دين من يردّه وقومه إلى حظيرة السنّة؟ أكان بالله إثماً أن يؤلف ابن تيمية كتاب «منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة والقدرية»، ويردّ به ضلالات ابن المطهر الحلي. والكوثري السنّي فيما يزعم، يتبجح بقول الحلى الشيعي لإمام السنة: كنتُ أجاوبه لو كان يفهم كلامي!... [ثم ذكر ماروي الخوانسارى عن تذكرة الشيخ نور الدين علي بن عراق المصري أن ابن المطهر كتب إلى ابن تيمية بهذه الأبيات]:

لو كنت تعلمُ كل ما علم الورى ... طرّاً لصرتَ صديق كلِّ العالم
لكن جهلتَ فقلتَ أن جميع من ... يهوى خلاف هواك ليس بعالم

فكتب الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي في جوابه هذه القطعة وأرسلها إليه:

يا من يموّه في السؤال مسفسطاً ... إن الذي ألزمتَ ليس بلازم
هذا رسول الله يعلم كل ما ... علموا وقد عاداه جلّ العالم

وترى الكوثري ينوه بكلمة ابن المطهر الحمقاء التي أخذها من شعره [بل ذكرها أيضاً الحافظ في «لسان الميزان»: ٢/٣١٧] ولكنه لم يذكر جوابها السديد لبعض علماء السنّة، ويمكنك أن تقف مما أوردناه لك على دخيلته، وتعرف حقيقة نحلته وخبيئته. وجملة القول: إن هذا الرجل لا يعتدّ بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه. ومن يراجع تعليقاته يتحقّق صدق ما قلناه فيه، على أنا أوردنا شواهد منها دلّت على سائرها، وعرّفتنا =

قال ابن كثير تلميذ شيخ الإسلام:

«وله (أي لابن المطهر الحلّى) كتاب «منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة» خبط فيه في المعقول والمنقول، ولم يدر كيف يتوجّه، إذ خرج عن الاستقامة، وقد انتدب في الردّ عليه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلّدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل»[(١)].

نظراً إلى أهمية «منهاج السنة»، وتعميماً لفائدته قام العلامة الحافظ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي (تلميذ شيخ الإسلام) بتلخيصه في كتاب «المنتقى من منهاج الاعتدال».

لقد عرف فحول علماء السنة في عصورهم قيمة كتاب «منهاج السنّة» لشيخ الإسلام.

أقول: لو لم يكن له كتاب إلا «منهاج السنة» لكفاه فخراً وعزّاً

= حقيقة قائلها. فمن بقى له شك فيها فليرجع إليها، ليرى كيف أن التعصب يُعْمِي ويُصمّ، والله عليم بذات الصدور». («الكوثري وتعليقاتـه» للعلامة البيطار (١/ ٨٧ - ٩٢ مع «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، المكتب الإسلامي ط. ثانية ١٤٠٦ هـ).

وراجع لمزيد من التفصيل عن الكوثري وحقده وحنقه على الأئمة الأعلام كتاب «المقابلة بين الهدى والضلال» للعلامة الشيخ عبدالرزاق حمزة، مع مقدمة الشيخ عبدالله بن صالح المدني عليه، و«مقدمة العلامة المحدث الألباني على «شرح العقيدة الطحاوية» طبع المكتب الإسلامي، و«براءة أهل السنّة من الوقيعة في علماء الأمة» للعلامة الفاضل بكر بن عبدالله أبو زيد و«زوابع في وجه السنة» قديماً وحديثاً» و«دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» كلاهما لكاتب هذه السطور، طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» بنيودلهي وطبع دار ابن الأثير بالكويت.

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٢٥).

وشرفاً في الدنيا والآخرة، فكيف وأن المكتبات الإسلامية في العالم تزدان بكتبه ورسائله وفتاواه في جميع العلوم الإسلامية.

وقال قائل في «منهاج السنّة»:

فلو كان تأليف الفتى مخلداً له لكان من «المنهاج» والله مُخْلَدُ
ولو كان في الدنيا جزاءُ لمحسنٍ لكان له فيها النعيم[1] المؤَيدُ

وأنشد الشيخ المفتي عبد القادر بن صديق (١١٣٨هـ):

لله دَرّ شهاب الدين أحمد من دُعِيَ ابن تيميّة ذي الفطنة اللسن
فقد أتى بالذي لا يستطاع له دفع بتحريره المنهج الحسن
وأضحت السنّة الغرّاء تزهر من أنوار «منهاجه» في واضح السنن
فالله يوسعه بِرّاً ويشكر ما أبدى لنا معشر القرآن[2] والسنن

تقي الدين السبكي و«منهاج السنة النبوية»:

كان الشيخ تقي الدين[3] علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، وردّ السبكي عليه في رسائل مستقلّة[4] في مسائل، فصّلها شيخ الإسلام في كتبه

---

(١) في الصفحة الأخيرة من «منهاج السنّة النبوية» طبعة الأميرية ببولاق.
(٢) منهاج السنّة (١٣٨/١ مقدمة التحقيق) طبعة جامعة الإمام.
(٣) راجع ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» للتاج السبكي (١٤٦/٦) الطبعة الثانية، دار المعرفة بيروت.
(٤) منها: «الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيمية»، و«نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق»، و«النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلّق» و«الاعتبار ببقاء الجنة والنار»، و«شفاء السقام في زيارة خير الأنام».
راجع الرد على محتويات هذه الرسائل في كتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (الباب الرابع) طبع «مجمع البحوث العلمية الإسلامية» نيودلهي. وطبع دار ابن الأثير بالكويت.

ورسائله وفتاواه في ضوء الأدلّة من الكتاب والسنّة.

ولما اطلع التقى السبكي على كتاب «منهاج السنّة النبوية» (ذلك السفر القيّم الحافل بالنفائس والدرر) وجده وافياً بالمقصود وقال:

ولابن تيمية ردّ عليه وفي بمقصد الردّ واستيفاء أضربه

إلا أنه ناقره بأبيات فيها مغالطات وتهويلات من جهة، واتهامات وتحاملات على شيخ الإسلام من جهة أخرى.

وإليكم قصيدة السبكي بكاملها[١]:

١) إن الروافض قوم لا خلاق لهم من أجهل الناس في علم وأكذبهِ

٢) والناس في غنية عن ردّ إفكهمِ لهجنة الرفض واستقباح مذهبهِ

٣) وابن المطهّر لم تطهر خلائقه داعٍ إلى الرفض غالٍ في تعصبّهِ

٤) لقد تقوّل في الصحب الكرام ولم يستحي ممّا افتراه غير منجبه

٥) ولابن تيميّة ردّ عليه وفي بمقصد الردّ واستيفاء أضربهِ

٦) لكنه خلط الحق المبين بما يشوبه كدر في صفو مشربِه

٧) يحاول الحشو أنّى كان فهو له حثيث سيرٍ بشَرْقٍ أو بمغربِه

٨) يرى حوادث لا مبدا لأوّلها في الله سبحانه عمّا يُظَنّ بِه

٩) لو كان حياً يرى قولي ويسمعه رددتُ ما قال ردّاً غير مشتبِهِ

١٠) كما رددت عليه في الطلاق وفي ترك الزيارة أقفو إثر سببهِ

١١) وبعده لا أرى للردّ فائدةً هذا وجوهره مما أضنّ بهِ

---

(١) ذكرها التاج السبكي في ترجمة أبيه التقى السبكي في «طبقات الشافعية» (٦/ ١٦٠) إلا البيت الأخير منها، ولم يذكره إلا أبو عبدالله محمد بن يوسف الشافعي ضمن قصيدته ردّاً على السبكي.

١٢) والردّ يحسن في حالين: واحدة	لقطع خصم قويّ في تغلّبهِ
١٣) وحالة لانتفاع الناس حيث به	هدى وربح لديهم في تكسبّهِ
١٤) وليس للناس في علم الكلام هدى	بل بدعة وضلال في تطلّبهِ
١٥) ولي يدٌ فيه لولا ضعف سامعِه	جعلت نظم بسيطي في مهذّبهِ
١٦) هذا الذي قاله السبكيّ مرتجلا	وللبسيط انتمى في بعض اضربهِ

تتلخّص مؤاخذات السبكي في هذه القصيدة على شيخ الإسلام وكتابه «منهاج السنّة النبوية» في أمرين:

أوّلهما: أنه يحاول في كتابه هذا الحشو والتجسيم.

والثاني: يرى فيه إمكان وجود حوادث لا أوّل لها.

تناول شيخ الإسلام هاتين القضيتين[1] في عديد من كتبه ورسائله وفتاواه بالبحث والتحقيق، وجلّاهما في ضوء الكتاب والسنّة، بحيث لا يبقى فيها مجال للتمويه والمغالطة، ولا يخفى ذلك على من دأبه في المسائل المختلف فيهما التحقيق والتبيين.

أما القاصرون من أهل الأهواء فيؤاخذون على شيخ الإسلام بما ردّ به خصومه عليه عناداً، من غير أن يتأكّدوا مما نسب إليه، ويتبينّوا من الأمر الواقع، ليروا ما عنده من نفائس الأدلّة والبراهين. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

---

(١) راجع التفصيل عنهما في «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (الباب الرابع) وسيأتي الردّ المسهب على السبكي في القصيدتين إن شاء الله تعالى.

سبب تأليف هاتين القصيدتين:

أنشد التقى السبكي قصيدته المذكورة في الردّ على شيخ الإسلام بعد وفاته، كما يدلّ عليه قوله:

لو كان حيّاً يرى قولي ويسمعه　　رددتُ ما قال ردّاً غير مشتبهِ

من هنا نهض تلميذان بارّان من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية لمعارضة قصيدة السبكي - بحراً وقافيةً - بقصيدتيهما اللتين هما من روائع الشعر الإسلامي، ونفائس الانتصار لمذهب السلف الصالح في العقيدة والعمل، ونماذج الدفاع عن الحق من غير ما ملل وكلل، وبكلّ همّة وإرادة - ألا وهما:

* أبو المظفّر يوسف بن محمد العبادي السرّمرّي، في قصيدته: «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» (وهي تتضمن مائة واثنين وخمسين بيتاً مع أبيات السبكي).

* وأبو عبدالله محمد بن يوسف الشافعي اليمني في قصيدته التي ردّ فيها على السبكي ودافع عن شيخ الإسلام. (وهي تحتوي على مائة وعشرة أبيات مع أبيات السبكي).

ولقد كان شعر أهل الإيمان والصدق والنزاهة من قديم الزمان أمضى سلاح للدفاع عن الحق، والردّ على الباطل.

ولشعراء الإسلام قدوة في حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة وغيرهم من شعراء صدر الإسلام - رضي الله عنهم أجمعين - حيث دافعوا عن الإسلام والمسلمين وعلى رأسهم نبينا ﷺ.

ونجد كثيراً من هذه المواقف المشرّفة، والكلمات الصادقة، والقصائد النابعة بدافع من الإيمان والعقيدة صدرت عبر التأريخ الإسلامي، وتلقتها الطبقة الذكية من هذه الأمة بالإعجاب والقبول، والنشر والتوزيع ومنها: هاتان القصيدتان لأبي المظفر السرّمرّي، وأبي عبدالله الشافعي اللتان تتميزان بجمال السبك وحسن الصياغة، وسرعة البديهة، وبلاغة الإشارة، وسلامة المعتقد، واستقامة المنهج ما يعطي أهل الحق قوّة دافعة تتسامى على العقبات والظروف، للسير في درب الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق وإبطال الباطل بالقلم واللسان والسيف والسنان لإعلاء كلمة الله في أنحاء المعمورة.

والحق أبلج لا يزيغ سبيله　　　والحق يعرفه ذوو الألباب

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، فإنّك وليّ التوفيق.

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه وإخوانه ومشايخه



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نبذة

عن الناظم السرّمرّي

(٦٩٦ - ٧٧٦ هـ)

وقصيدته: «الحمية الإسلامية»

اسمه ومولده:

صاحب «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» هو: يوسف بن محمد بن مسعود العبادي - بالتخفيف - نزيل دمشق، الحنبلي الإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو المظفر السُرَّمرّي(1).

---

(١) راجع ترجمته في المصادر التالية:

* معجم ابن رافع السلامي.
* الردّ الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي.
* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني. ط. ثانية ١٣٩٦ هـ.
* لحظ الألحاظ لابن فهد المكي (ص ١٦١) ضمن «ذيول تذكرة الحفاظ».
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي. ط. ثانية ١٣٩٩ هـ.
* شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي.
* كشف الظنون لحاجي خليفة.
* هدية العارفين للبغدادي. دار الفكر ١٤٠٢ هـ.
* إيضاح المكنون له أيضاً. دار الفكر ١٤٠٢ هـ.
* الإعلام للزركلي. ط. ثامنة ١٩٨٩م.
* معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.
* فهرس الفهارس للكتاني، تحقيق إحسان عباس.

ولد بـ «سرّمرّا» في سابع عشر من شهر رجب سنة ست وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

رحلته في طلب العلم:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ رحّالًا حافظاً، ولد بسرّمرّا وتفقّه ببغداد، ورحل إلى دمشق فتوفّى فيها.

شيوخه:

سنحت للناظم فرصة الأخذ عن كبار العلماء في عصره في العراق ودمشق، ومنهم:

* عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي الحنبلي أبو الفضائل صفي الدين (٦٥٨ - ٧٣٩ هـ)[١].

* محمود بن علي بن محمود تقي الدين أبو الثناء الدقوقي البغدادي الحنبلي (٦٦٣ - ٧٣٣ هـ)[٢].

* أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجّار (٦٢٤ تقريباً - ٧٣٠ هـ)[٣].

* سراج الدين الحسين بن يوسف التبريزي، تفقّه الناظم عليه[٤].

---

(١) الدرر الكامنة: (٣/ ٢٢٣ - ٢٤٥)، ولحظ الألحاظ (ص ٢١).
(٢) الدرر الكامنة: (٦/ ٨٨/ ٨٩).
(٣) المصدر المذكور: (١/ ١٤٢).
(٤) المصدر المذكور: (٤/ ٤٧٤).

براعته في العلوم:

لقد برع الناظم في علوم مختلفة وفنون شتى ومنها: العقيدة والسلوك، والحديث وعلومه، والفقه والفرائض، والسير والتراجم، والخصائص والفضائل، والعجائب والغرائب، والحكم والمواعظ، والتخريج والمشيخة، والنظم والشعر، والنحو والعربية وما إلى ذلك.

نقل الحافظ ابن حجر عن ابن رافع السلامي أنه: «... وكان يذكر أن تصانيفه بلغت مائة، وزادت في بضعة وعشرين علماً..»[١].

مؤلفاته:

تفنّن المؤلّف - رحمه الله تعالى - في التصنيف والتأليف نظماً ونثراً لتبحره في مختلف العلوم والفنون، ونظرة واحدة في فهرس مؤلفاته تنبئ عن اطلاعه الواسع على أصول الدين وفروع الشريعة.

وفيما يلي فهرس مؤلفاته[٢]:

- إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة.
- كتاب الأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة.
- الفوائد السرّمرّية من المشيخة البدرية.
- غيث السحابة في فضل الصحابة.
- عمدة الدين في فضل الخلفاء الراشدين.

---

(١) الدرر الكامنة: (٦/ ٢٤٧)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٦٠).
(٢) راجع أسماء مؤلفاته في مصادر ترجمته المشار (٧) إليها آنفاً.

- عقود اللآلى في الأمالي.
- نشر قلب الميت بفضل أهل البيت.
- شفاء الآلام في طبّ أهل الإسلام.
- نهج الرشاد في نظم الاعتقاد.
- شرح اللؤلؤة في علم العربية.
- الأرجوزة الجليّة في الفرائد الحنبليّة.
- الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر.
- نظم مختصر ابن رزين في الفقه.
- نظم الغريب في علوم الحديث (والأصل لأبيه).
- عجائب الاتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق.
- صحاح الأحكام وسلاح الحكّام.
- الإفادات المنظومة في العبادات المختومة.
- تخريج الأحاديث الثمانيات (أو) ثمانيات يوسف بن محمد العبادي.
- رسالة الجراد وما في شأنه من الصلاح والفساد.
- تخريج مشيخة محيى الدين أبي نصر محمد بن شرف الدين العباسي.
- الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية (وهي هذه القصيدة)(١)

تلامذته:

ذكر المترجمون للناظم - رحمه الله تعالى - بعض تلامذته،

---

(١) سيأتي التفصيل عن هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

ويخصوّن بالذكر منهم تلميذين:

* ابنه: إبراهيم بن يوسف بن محمد العبادي العقيلي[١].

* ومحمد بن رافع السلامي تقي الدين أبو المعالي، ابن رافع المحدّث المشهور المصري نزيل دمشق (٧٠٤ - ٧٧٤ هـ)[٢].

ثناء العلماء عليه:

* قال ابن رافع في معجمه:

«... إن تصانيفه بلغت مائة وزادت في بضعة وعشرين علماً»[٣].

* وقال ابن حجر:

«... وبرع في العربية والفرائض، ونظم عدة أراجيز في عدّة فنون، وخرّج لغير واحد...»[٤].

* وذكره تقي الدين ابن فهد المكيّ واصفاً بالإمام العلامة الحافظ، وقال: «وكان عمدة ثقة ذا فنون إماماً علامة، له مصنفات عدّة في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، خرّج وأفاد وأملى رواية وعلماً...)[٥].

---

(١) لحظ الألحاظ (ص ١٦٠).
(٢) الدرر الكامنة: (١٨١ - ١٨٠/٥).
(٣) المصدر المذكور (٦/٢٤٧)، وبغية الوعاة للسيوطي (٣٦٠/ ٢).
(٤) الدرر الكامنة: (٦/٢٤٧).
(٥) لحظ الألحاظ (١٦١ - ١٦٠).

وفاته:

قضى الناظم - رحمه الله تعالى - حياته حافلًا بالتصنيف والتأليف والإفادة والإملاء في علوم شتى نظماً ونثراً، ومدافعاً عن العقيدة الصحيحة، ومنافحاً عن منهج السلف الصالح إلى أن جاء أجله المحتوم، فتوفى - رحمه الله - في يوم السبت الحادي والعشرين[١] من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وسبعمائة عن عمر يناهز ثمانين سنة... إنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه!

(١) في بعض المراجع «الحادي عشر من جمادى الأولى» . راجع «بغية الوعاة» للسيوطي.

قصيدة

«الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية»

أنشد الناظم: أبو المظفّر يوسف بن محمد السرّمرّي هذه القصيدة[١] الرائعة رداً على التقي السبكي في قصيدته البائية المشهورة دفاعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

احتوت قصيدة السبكي على ستة عشر بيتاً، وجاء ردّ السرّمرّي عليها في مائة واثنين وخمسين بيتاً بحيث أورد أبيات السبكي ضمن قصيدته وردّ على كل بيت منها على حدة.

ذكر أولًا خمسة عشر بيتاً تمهيداً لقصيدته، ثم ذكر أول بيت من قصيدة السبكي، وبدأ بردّه المفصّل ومن أبياته:

يا أيها المعتدي قولًا ومعتقداً　　على ابن تيمية ظلماً ومذهبه

بيّن لنا بصريح القول معتمد الـ　　إنصاف والعدل فيه ما تريد به

وقال:

---

(١) نشرت هذه القصيدة في تقاريظ «منهاج السنة» (٢ - ٧ طبعة الأميرية) وفي مقدمة التحقيق على «منهاج السنة» (١/١١٧ - ١٢٥) بقلم الدكتور محمد رشاد سالم، وعلّق على هذه القصيدة في ثمانية مواضع على النحو التالي:

* موضع فيه إشارة إلى ترجمة المؤلف.

* وموضع فيه شرح كلمة «المقنب».

* وستة مواضع فيها تتمثل في قوله: «كذا بالأصل».

وإني أشرت إلى الدكتور محمد رشاد سالم في هذه المواضع بحرف «م» اعترافاً بفضله، والفضل للمتقدّم.

لكن إذا الأسد الضرغام غاب عن الـ   عرين تسمع فيه ضبح ثعلبه
كذا الجبان خلا في البرّ صاح ألا   مبارز وتغالى في توثّبه

إلى أن قال:

فالفتك قيّده التقوى ومذهبنا   ترك الجدال وتأنيبٌ لطالبه
فهذه نبذة أوردتُها عجلًا   عن ابن تيمية نصراً لمذهبه

تقدم أن الناظم السرّمرّي - رحمه الله تعالى - كان عمدة ثقة إماماً علامة ذافنون. وبرزت شخصيته العلمية في كتبه في حقول مختلفة ومنها:

- اعتناؤه بعقيدة السلف الصالح والرد على أهل الكلام المذموم[(١)].

- واشتغاله بالفقه، وقد تفقّه على الشيخ سراج الدين الحسين بن يوسف التبريزي كما ذكره الحافظ ابن حجر[(٢)].

- ومهارته في الحديث وعلومه.

لقد جمع الناظم في هذه القصيدة كل هذه المزايا فجاءت في الصميم، وأصابت الهدف، بحيث تململ بها المتهالكون من أهل البدع

---

(١) راجع «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد» للناظم (وهو يحتوي على (١٥١) بيتاً في تقرير مذهب السلف الصالح، والردّ على الكلام المذموم.
(تنبيه): وذكر البغدادي في هدية العارفين (٢/٥٥٨) كتاباً منظوماً للناظم بهذا الاسم وقال: فيه ثلاثمائة بيت: فلعلّه كتاب أوسع مما رأيت عند الأخ الفاضل بدر الزمان محمد شفيع النيبالي نسخة منه بخط يده بهذا الاسم وفيه (١٥١) بيتاً كما تقدم.

(٢) الدرر الكامنة: (٤/ ٤٧٤).

والأهواء لوقعها الشديد على قلوبهم، فرماه أحدهم[(١)] بعميه في البصيرة وافتنانه بابن تيمية.

ثم جاء من[(٢)] أخذ على نفسه عهداً من الله أن يقعد صراطه المستقيم وقال تعليقاً على ترجمة الناظم:

«. . . . قال ابن ناصر الدين:

ومن مؤلفاته نظماً كتاب (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية) ا هـ. (يعارض فيها القصيدة البائية المشهورة لابن السبكي) وقد وفاه الكيل بعض أصحاب الشافعية من أهل العصر.

وكان صاحب الترجمة بعيداً عن علم الكلام وأصول الدين، منصرفاً إلى مجالس الرواة، يسير وراء ابن تيمية في شواذه حذو النعل بالنعل كغالب مقلّدة الرواة من أهل زمنه، ومنهم من يعذر، ومن لا يعذر.

ولا ترى في تراجم أمثاله أنهم تخرّجوا في أصول الدين بفلان، وتفقهوا عند فلان - إلى أن قال -:

ولا تتسع قرائح أمثالهم للبراهين الصحيحة، ويبقون في منازل العامة فهماً»[(٣)].

---

(١) وهو كمال أبو المنى (الشخص المشبوه) في مقدمة الرسائل السبكية (ص ٦٧) والتوفيق الرباني (ص ٧٧).

(٢) وهو «الكوثري» - علم الله، حاولتُ مرارا أن لا أتعرض لهذا المخلوق ولكن كلما أمرّ بموقف مشرف من مواقف سلفنا الصالح أجده هناك يهوّل ويلبّس. فعليه من الله ما يستحقّ.

(٣) لحظ الألحاظ (ص ١٦١ تعليقاً).

هذا تعليق هذا الشانيء على كتاب «لحظ الألحاظ» لابن فهد المكي، وقد تغاضى فيه بغضاً ولؤماً عما وصف المؤلف المكي المذكور نفسه به الناظم (صاحب الترجمة) من قوله: «الإمام العلامة الحافظ) وقال:

«وكان عمدة ثقة ذافنون إماماً. علامة له مصنّفات في أنواع كثيرة»[١].

تغاضى عن هذا كله، بل نفى عنه أموراً هو فيها إمام، وجعل حسناته ذنوباً لا تغتفر:

إذا محاسني اللائي أدلّ بها تُعَدُّ ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

كان الناظم رحمه الله محدثاً حافظاً فقيهاً فرضياً نحويّاً ناظماً، مشاركاً في غير ذلك من العلوم، من زمرة أهل السنة والجماعة، بعيداً عن الكلام المذموم الذي يؤدّي أهله إلى إنكار صفات الباري تعالى أوتأويلها حسبما تهوى عقولهم المريضة، وخيالاتهم الفاسدة.

وأوتى رحمه الله حظّاً وافراً من الدقّة والفهم،واتباع الأدلة من الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ما جعل بعض جهمية عصرنا - الذين يعدّون أنفسهم من الأعلام وهم أجهل بكثير من العوام، يتململون ويتولولون، ويقعون فيه لأجل تمسكه بالحق، ومناقضته في كتبه وأراجيزه من يخالف المنهج المستقيم في تحرير العقائد وتقرير الأحكام.

---

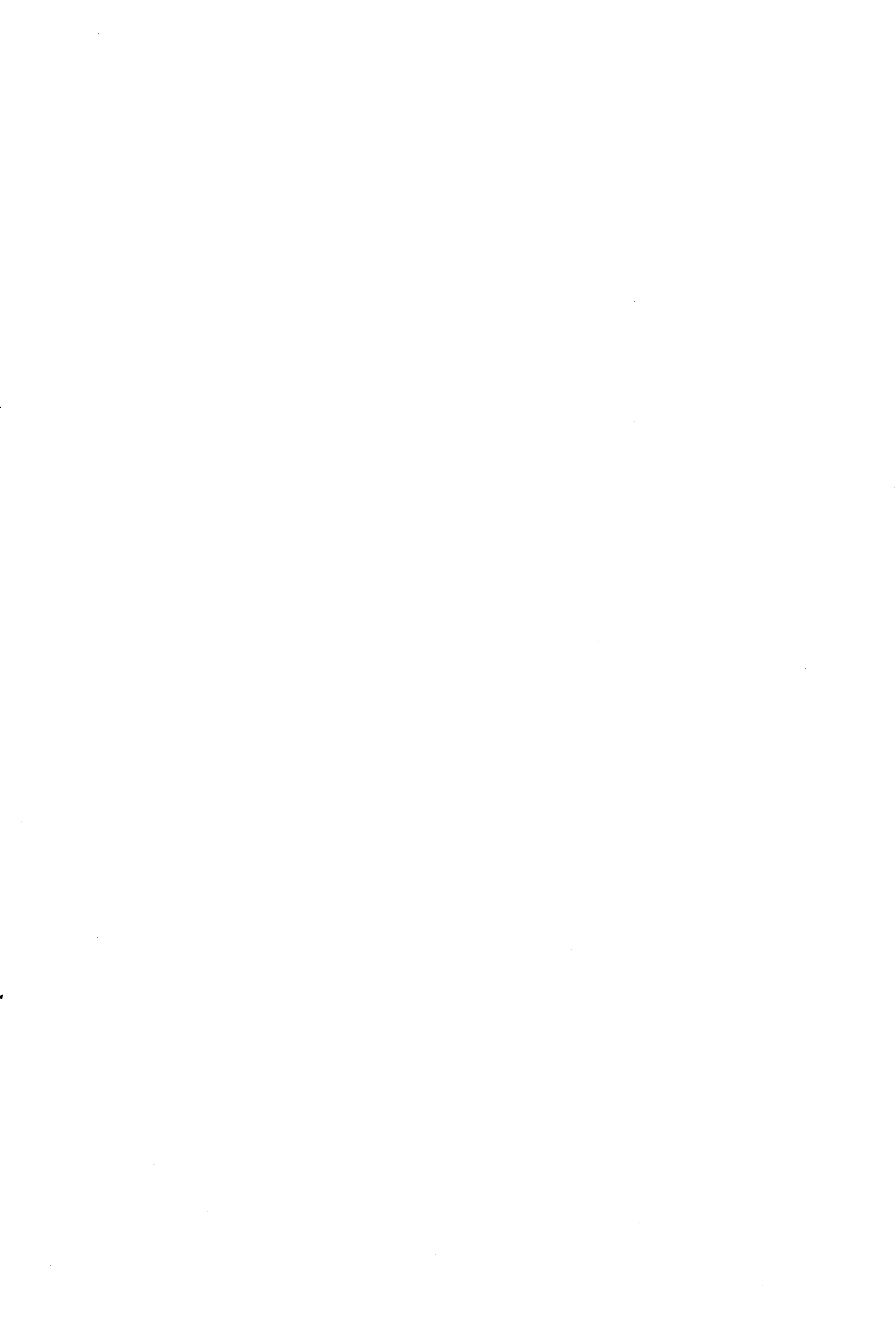
(١) المصدر المذكور (١٦٠ - ١٦١).

ولا ريب أن العبرة بالحق وأهله الذين ينهلون من منهل الكتاب والسنة، لا بالبدعة وأهلها الذين لا تتسع قرائحهم للبراهين الصحيحة، والدلائل المستقيمة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد

الحمد لله أولًا وآخراً وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

* * *



نص

قصيدة «الحمية الإسلامية» للسرّمرّي

١- الْحَمْدُ للّه حَمْداً أَسْتَعِينُ بِهِ	فِيْ كُلِّ أمرِ أُعَانِيْ فِيْ تَطَلُّبِهِ
٢- لَا سِيَّمَا فِيْ انْتِصَافِ مِنْ أَخِيْ إحَنِ	طَغى عَلَينا وَأبْدى مِنْ تَعَصُّبِهِ
٣- بَغياً وَعَدْواً وَإِفْكاً مُفْتَرىً وَهَوىً	فَقُلْتُ رَدّاً عَلَيهِ فِيْ تَوثُّبِهِ
٤- يا أَيُّهَا الْمُعْتَدى قَولًا وَمُعتَقَداً	عَلى ابْنِ تَيمِيَّة ظُلْماً وَمَذْهِبِهِ
٥- بَيِّنْ لَنَا بِصَرِيْح الْقَولِ مُعْتَمَدَ الْـ	إِنْصَافِ وَالْعَدْلِ فِيهِ مَا تَرِيدُ بِهِ
٦- الغَضُّ مِنْهُ فهذا لا يَجُوزُ، أمِ التَّـ	حْقِيْقُ لِلْحَقِّ، فَاسْلُكْ نَهجَ سَبْسَبِهِ
٧- شَهِدتَّ بالْفَضلِ فِيهِ، ثم جِئْتَ بِمَا	يَنْفِيهِ فِعْلَ غَوِيٍّ فِيْ تَلَعّبِهِ
٨- أَجْمَلْتَ قَولَكَ فِيهِ بِالْوَقِيعة مِنْ	غَيْرِ البَيَانِ لَه لكِنْ بِأصْحْبِهِ
٩- مَوَّهْتَ فِيه عَلَى الْجُهَّالِ لَا وَرَعٌ	ثَنَاكَ عَنْهُ وَلَا تَوْقِيْرُ مَنْصِبِهِ

١- أعاني: أقاسي.

٢- إحن: كعنب، جمع الإحنة بالكسر: الحقد، أو الغضب.

٣- توثبه: ظفره، واستيلائه ظلما.

٤- المعتدى: هو التقي السبكي، الذي ردّ في قصيدته على شيخ الإسلام ابن تيمية.

٦- الغضّ منه: الوضع من قدره، أي قدر شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -:
السبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة. والمعنى أنك إذا أردت تحقيق الحق، عليك أن تسلك منهج شيخ الإسلام.

قال الدكتور محمد خليل هراس: وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهديه اقتدوا، وعلى كتبه تخرّجوا. (ابن تيمية السلفي: ص ١٩٨، اليوسفية ١٩٥٢م).

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: «لا غنى اليوم لمسلم يريد أن يعرف الإسلام الحقيقي عن مطالعة كتبه، والتزود من علمه» (على ظهر غلاف «لمحات من حياة شيخ الإسلام).

١٠- طَعَنْتَ فِيهِ فَجَاءَتْ فِي الْحِجَابِ كَذَا ... مَنْ يَخْصِمُ الْحَقَّ لَمْ يَظْفَرْ بِمَطْلَبِهِ
١١- وَجِئْتَ فِيهِ بِقَوْلٍ غَيْرِ مُتَّسِقٍ ... لَفْظاً وَمَعْنىً بَعِيدٍ مِنْ مُصَوَّبِهِ
١٢- نَظَمْتَ شِعْراً زَعَمْتَ الْفَضْلَ فِيهِ فَقَدْ ... أَسْجَلْتَ بِالنَّقْضِ فَاكْرَعْ مُرَّ مَشْرَبِهِ
١٣- رَكِيكُ لَفْظٍ قَوَافِيهِ مُغَايِرَةٌ ... . إِيطَاءُ بِأَضْرُبِهِ
١٤- عَرَّضْتَ عِرْضَكَ فِيْ عَرْضِ الْعُرُوْضِ بِما ... يُزْرِيْ وَغَرَّكَ فِيهِ شَيْمُ خُلَّبِهِ

تقصير السبكي في الرد على الروافض

١٥- فَمَا أَجَدتَّ بِهَجْوِ الرَّافِضِيِّ وَلَا ... قَصَّرتَ فِيْ الطَّعْنِ في السُّنِّي وَمَذْهَبِهِ
١٦- قُلْتَ الرَّوَافِضُ قومٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ... مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِي قَوْلٍ وَأَكْذَبِهِ
١٧- قَصَّرْتَ مِنْ هَجْوِهِمْ فِي قَصْرِ جَهْلِهِمِ ... وَالْكِذْبُ فِي الْعِلْمِ خِبُّ أرجعْ بِأَعْيَبِهِ

١٠- قال اللّه تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].
١٢- أسجلت بالنقض: أي قدمت كلاماً متناقضاً.
فاكرع: فاشرب.
١٣- قوافيه: جميع قافية: آخر كلمة في البيت أو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة. وفي بداية الشطر الثاني من هذا البيت بياض بالأصل المطبوع مع «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام، طبعة الأميرية: وكذا في طبعة الدكتور محمد رشاد سالم أيضاً.
١٤- شيم: شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يمطر.
خلّب: السحاب لا مطر فيه.
والمعني أنك غرك النظر إلى برق السحاب الذي لا مطر فيه.
١٥- الرافضي: هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر الحلّي (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة، صاحب كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة». الذي ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -٠ في سفره القيم العظيم «منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، (راجع شرح البيت رقم (١٣) من قصيدة الشيخ أبي عبدالله محمد بن جمال الدين الشافعي اليمني).
١٦- قلت الروافض: أشار به الناظم أبو المظفر العبادي السرمري إلى قول التقي السبكي: و«إن الروافض قوم لا خلاق لهم».
١٧- خبّ ارجع بأعيبه: قال مصحّح الطبعة الأميرية: «كذا وقع بالأصل» وانظر ما تركيبه وما معناه». =

١٨- هُمْ أكْذَبُ الناسِ فِي قَوْلٍ وَفِيْ عَملِ وَأعْظَمُ الْخَلْقِ جَهْلَا فِي تَوَثُّبِهِ

١٩- وَهُمْ أَقَلُّ الْوَرى عَقْلَا وَأغْفَلُهُمْ عَنْ كُلِّ خَيْر وَأَبْطَا عَن تَكَسُّبِهَ

٢٠- وَكُلَّ عَيْبٍ يَرُدُّ الشَّرْعُ قَدْ جَمَعُوْا هُمْ جُنْدُ إبْلِيْسَ بَلْ فُرْسانُ مِقْنَبِهِ

= واكتفى الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ اللهُ بقوله «كذا بالأصل».

خبّ: خداع بلوم وبخل. والمعنى عندي والله أعلم -. أن الكذب في العلم أشد أنواع الخداع وأعيبها.

١٨- راجع شرح البيت رقم (٢٠) الآتي.

١٩- أبطأ: ضد «أسرع».

٢٠- المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو زهاء ثلاث مئة».

(فائدة): قال ابن المبارك:

«وجدت الدين لأهل الحديث، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، والحيل لأهل الرأي، وسوء الرأي والتدبير لآل أبي فلان» مختصر الصواعق المرسلة: (٢/ ٣٥٩) والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (٤٨٠ - طبعة السلفية).

وذكر شيخ الإسلام بعض النقول عن الشعبي وغيره، فقال:

«وفضّلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

«سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حوارى عيسى.

وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا مجتمع لهم ولا تجاب لهم دعوة. دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» (منهاج السنة» ١/ ٦ - ٧).

وقال الشعبي: «لو كانت الشيعة من البهائم، لكانوا حمراً، ولو كانت من الطير لكانوا رخماً» (منهاج السنة: ١/ ٧) (الرخم طائر يطلى بمرارته لسمّ الحية وغيرها....).

وقال الأعمش:

«تروّح إلينا جنّى فقلت له: ما أحبّ الطعام إليكم؟.

فقال: الأرز: قال فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً.

فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟.

قال: نعم.

فقلت: فما الرافضة فيكم؟. =

٢١- وَقُلْتَ أَيْضاً وشَرُّ القَوْلِ أَبْعَدُهُ عَنِ الصَّوَابِ فُرُمْ تَحصِيلَ أَصْوَبِهِ
٢٢- وَالنَّاسُ فِيْ غُنْيَةٍ عَنِ رَدِّ إِفْكِهِمُ لِهُجْنَةِ الرِّفْضِ وَاسْتِقْبَاحِ مَذْهَبِهِ
٢٣- أَكُلُّ مَا ظَهَرَتْ فِيْ الناس هُجْنَتُهُ يَصِيرُ أَهْلًا لِاهْمَالِ النَّكِيرِ بِهِ
٢٤- وَاللّهِ لَا غُنْيَةٌ عَن رَدِّ إِفْكِهِم بَلْ رَدُّهُ وَاجِبٌ أَعْظِمْ بِمُوْجِبِهِ
٢٥- أَيُتْرَكُوْنَ يَسُبُّونَ الصَّحَابَةَ وَالْـ إِسْلامُ يَخْتَالُ زَهْواً فِيْ تَصَلُّبِهِ
٢٦- هَذَا مَقَالٌ شَنِيعٌ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِهِ وَلَا رَهْطُ جَهْمٍ فِيْ تَحَزُّبِهِ

= قال: شرنا.».

(قال ابن كثير: عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزّي، فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش» راجع (تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣١ - سورة الجن، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ).

وقال الإمام ابن القيم في الروافض بأنهم أخبث الحيوان:

وكذاك أعداؤ الرسول وصحبه وهم الروافض أخبث الحيوان

(النونية لابن القيّم مع شرحها للدكتور محمد خليل هرّاس: ١/ ٤٠٤ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٤٠٧ هـ).

٢١- رم: واقصد.

٢٢- هذا البيت من قصيدة السبكي.
الهجنة: القبح.

٢٤- أعظم بموجبه: ما أعظم هذا الموجب.

٢٥- يختال زهوا في تصلبه: أي حسناً وجمالًا مع كمال قوته وشوكته.

٢٦- رهط: من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة...
جهم: هو ابن صفوان.

* قال الذهبي:

«جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شرا عظيما». (ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ١/ ٤٢٦) تحقيق علي البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ).

* وقال علي بن محمد الجرجاني: =

٢٧- وَاللَّهِ لَوْلَا سُيوفٌ مِنْ أَئِمَّتِنَا فِيْ كَاهِلِ الرَّفْضِ لَا تُلوى وَمَنْكِبِهِ

٢٨- لَأَضْحَتِ السُّنَّةُ الْغَراءُ دَائِرَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةِ كَالْعَنْقَا وَأَغْرِبِه

٢٩- وَقُلْتَ لِلْرِّجسِ لَمْ تَطْهُرْ خَلائِقُهُ دَاعٍ إِلى الرَّفْضِ غالٍ فِيْ تَعَصُّبِهِ

= «الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان. قالوا: لا قدرة للعبد أصلًا لا مؤثرة ولا كاسبة. بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى. (التعريفات للجرجاني ص ٨٠ = دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ).

* «ولما كان مذهب الجهم في التعطيل والجبر أصلًا، تفرع عنه كثير من فرق الضلال: كالمعتزلة والفلاسفة ومتأخري الأشعرية والقرامطة الباطنية وملاحدة الصوفية القائلين بالحلول والوحدة، كابن عربي وابن سبعين وأضرابهما قال الإمام ابن القيم:

جهم بن صفوان وشيعته الألى جحدوا صفات الخالق الديّان

بل عطّلوا منه السماوات العلى والعرش أخلوه من الرحمن

ونفوا كلام الربّ جلّ جلالُه وقضوا له بالخلق والحدثان

(النونية: ٢٦ - ٢٧)

٢٧- لا تلوى: لا تردّ.

٢٨- العنقاء وأغربه [العنقاء المُغرب بالضمّ، وعنقاءُ مُغْرِبٌ، ومُغْرِبةٌ، ومُغْرِبٍ، مضافة] طائر معروف الاسم لا الجسم، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه.

٢٩- أشار إلى بيت السبكي: و«ابن المطهر لم تطهر خلائقه» الخ.

«الرجس»: أراد به ابن المطهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهذا المصنّف [أي ابن المطهّر الرافضي] سميّ كتابه «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» وهو خليق بأن يسمّى «منهاج الندامة»، كما أن من ادّعى الطهارة، وهو من الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم، بل من أهل الجبت والطاغوت والنفاق، كان وصفه بالنجاسة والتكدير أولى من وصفه بالتطهير.

ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غلّ لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبييّن. ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفئ نصيباً لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] (منهاج السنة: ١/ ٢١ - ٢٢ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم).

٣٠- لَقَدْ تَقَوَّلَ فِيْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ ... يَسْتَحْي مِمَّا افْتَراهُ غَيْرُ مُنْجَبِهِ
٣١- أَيسْكُتُ النَّاسُ عَنْ هذا وَدَعْوَتِهِ ... إلَى الضَّلَالِةِ وَاسْتِعْلاءِ مَنْصِبِهِ
٣٢- وَمَا تَقَوَّلَ فِيْ الصَّحْبِ الكِرَامِ وَمَا افْـ ... ـتَراهُ فِيهِمْ وَلَمْ يُرْجَمْ بِكَوْكَبِهِ
٣٣- أَيُتْرِكُ الْأمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ مُطَّرَحاً ... وَالنَّهيُ عَنْ مُنْكَرٍ مَا مَنْ يَقُوْلُ بِهِ
٣٤- كَلّا وَمَنْ رَفَعَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ عَلى ... وَجْهِ الثَّرى وَتَعَالى فِيْ تَحَجُّبِهِ
٣٥- لَنَقْذِفَنَّ عَلى بُطْلانِ مَذْهَبِهِ ... بِصَارِمِ الْحَقِّ مَسْلُوْلًا وَمِرْزَبِهِ
٣٦- حَتَّى يَفِيْءَ إلَى الإِسْلامِ عن كَثَبٍ ... وَيَتْرُكَ الْكُفْرَ مُقْصىً غَيْرَ مَكْثَبِهِ
٣٧- تُقَدَّمُ اليَوْمَ مِنْ أصْحَابِنَا كُتُبٌ ... رَدٌّ عَلَى الرَّفْضِ تَرْمِيهِ بِأَشْهُبِهِ

مؤاخذات السبكي على شيخ الإسلام والردّ عليها

٣٨- وَلابنِ تَيمِيَّةٍ رَدٌّ عَلَيهِ وَفَى ... بِمَقْصَدِ الرَّدِّ وَاسْتِيفَاءِ أَضْرُبِهِ
٣٩- كَمَا زَعَمْتَ وَأوْفى بالْمَقَاصِدِ مَعْ ... كَيدِ الْحَسُوْدِ وَمَعْ إِرْغَامِ أَرْنَبِهِ

٣٠- من أبيات السبكي.
غير منجب: باطل، غير مختار.
٣١- عن هذا ودعوته: أي ابن المطهّر الحلّي الرافضي.
٣٢- بكوكبه: أي كوكب شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣٣- مطرحاً: مرميا.
٣٤- السبع الطباق: السماوات السبع.
وجه الثرى: وجه الأرض.
٣٥- صارم الحق: سيفه.
مرزب: عصى من حديد.
٣٦- مقصى غير مكثب: مبعداً غير قريب.
٣٧- أشهب: جمع شهاب: هو شعلة من نار ساطعة.
٣٨- من أبيات السبكي.
استيفاء أضربه: إعطاءه إياها حقها.
٣٩- مع إرغام أرنبه: مع رغم أنفه. والأرنب: طرف الأنف.

٤٠- حُسْناً وَضَرَّتُها بِالْحُسْنِ شَاهِدَةٌ   لَهَا وَمَا الْحُسْنُ إِلَّا مَا شَهِدْتَّ بِهِ

٤١- وَقُلْتَ بَغْياً وَعَدْواً شَابَهُ حَسَد   وَالشَّوْبُ يَظْهَرُ حِيناً مِنْ مشوِّبِهِ

٤٢- لكِنَّهُ خَلَطَ الْحَقَّ الْمُبِيْنَ بِمَا   يَشُوبُهُ كَدَرٌ فِي صَفْوِ مَشْرَبِهِ

٤٣- يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنَّى كَانَ فَهْوَ لَهُ   حَثِيثُ سَيرِ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِهِ

٤٠- ضرَّتها: أي المرأة وهما الضرتان: زوجتا الرجل، كل واحدة منهما ضرة للأخرى.

٤١- شابه: امتزجه.

والشوب يظهر... الخ بمعنى: «يكاد المريب أن يقول خذوني».

٤٢- من أبيات السبكي.

لكنه خلط: أراد به شيخ الإسلام.

٤٣- من أبيات السبكي.

الحشو لغة: ملء الوسادة وغيرها بشيء، وما يجعل فيها حشو أيضاً. وفي الاصطلاح: عبارة عن الزائد الذي لا طائل تحته».

والحثيث: السريع.

يحاول الحشو: يتهم السبكي شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. ونعوذ بالله من ذلك.

وإليكم ما قال شيخ الإسلام نفسه في توضيح هذه المسألة:

«وقد قيل: أول من قال في الإسلام إن القديم جسم هو: هشام ابن الحكم. كما أن أول من أظهر في الإسلام نفى الجسم هو الجهم بن صفوان».

وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية كثير مشهور،فإن مرض التعطيل شر من مرض التجسيم، وإنما كان السلف يذمّون المشبّهة» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٣/ ١٥٤ طبعة الرياض).

وقال بعد ما فصّل الكلام في الجهة والحيّز:

«فبهذا التفصيل يزول الاشتباه والتضليل، وإلا فكل من نفى شيئاً من الأسماء والصفات سمّى من أثبت ذلك مجسّماً قائلًا بالتحيز والجهة (مجموع فتاواه: ٦/ ٤٠) ونرى أن كتابات شيخ الإسلام مليئة بالرد على المجسّمة والنفاة (فتاواه: ١٧/ ٢٩٦).

وبين أن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - وسط في (باب صفات الله سبحانه وتعالى) بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة (المصدر الذكور» ٣/ ١٤١ العقيدة الواسطية).

=

. . . .

= ومع هذا، لم يتوان خصومه من المعاصرين (أمثال التقي السبكي، وأحمد الكلابي، وابن بطوطة، وأبي حيان النحوي، وأبي بكر الحصني) وغيرهم من المتأخرين (مثل الكوثري وأذياله) في أن يرموه بالحشو والتجسيم والتشبيه وأمرهم كما قال الشاعر:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا شرّا أذيع وإن لم يعلموا كذبوا

ومعلوم أن أهل الباطل من المبتدعة قديماً وحديثاً - سمّوا أهل السنة والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث. كما ذكره ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث). والشيخ عبدالقادر الجيلاني في (غنية الطالبين)، والشاه أحمد بن عبدالرحيم المعروف بولي الله الدهلوي في (حجة الله البالغة)، والسيد محمود الآلوسي في شرحه لكتاب (مسائل الجاهلية للإمام ابن عبدالوهاب). وقال الإمام ابن القيم - وهو يبين تاريخ تلقيهم أهل السنة بالحشوية:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوا في الوجو د وفضلة في أمّة الإنسان
ويظنّ جاهلهم بأنهم حشوا ربّ العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما ء الربّ ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأنّ «في» للظرف والر حمن محوى بظرف مكان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ذا قولهم تبّاً لذي البهتان
بل قولهم إن السماوات العلى في كف خالق هذه الأكوان
أترونه المحصور بعد أم السما يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
كم ذا مشبّهة وكم حشويّة فالبهت لا يخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب وسنة الـ مختار حشوا فاشهدوا ببيان
إنا بحمد إلهنا حشوية صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمّت شيوخكمُ بها ذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمّي به عمرو لعبد الله ذا ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرا كما ورثوا لعبـ د الله أنى يستوى الإرثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ و مناسب أحواله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوىّ لا أهل الحديـ ث أئمة الإسلام والأيمان

(النونية: ١/ ٣٧٠ - ٣٧٢) =

٤٤- يَرَى حَوادِثَ لَا مَبْدَا لِأَوَّلِهَا ... فِي اللّهِ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ

٤٥- وَاللّهِ مَا قَالَ أَهْلُ الرَّفْضِ إِذْ خَصَمُوا ... هذَا الْمَقَالَ وَقَدْ صِيبُوْا بِصَيِّبِهِ

٤٦- هذِي تَصَانِيفُ هَذَا الشَّيْخِ سَائِرَةٌ ... بِشَرْقِ ذَا الْكَوْنِ لَاتَخْفَى وَمَغْرِبِهِ

٤٧- صَفْوٌ بِلا كَدَرٍ طَابَتْ مَوارِدُها ... لَذِيذَةٌ كَجَنَى نَحْلٍ وَأَعْذَبِهِ

٤٨- دَلِيلُهَا الآيُ وَالْأَخْبَارُ سَاقَتُهَا ... وَالعِلْمُ يَعْرِضُ فِيهَا خَيلَ مَوْكِبِهِ

= (عمرو بن عبيد رأس المعتزلة هو الذي سمى عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - حشويا) وقال شيخ الإسلام ردّا على نفاة الصفات:

«وأما ما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل، وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهّال». (فتاواه ٣/ ٢٣).

وراجع مفصّلا عن الحشو والتجسيم في كتاب: «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (٢٠٧ - ٢١٩) لكاتب هذه السطور (طبع مجمع البحوث العلمية الإسلامية بنودلهي ١٩٩٢م)، وطبع دار ابن الأثير بالكويت.

٤٤- من أبيات السبكي.

وفيه تمثيل لرأي الجهيمة حيث قالوا: «إن دوام الحوادث ممتنع... فيمتنع أن يكون الباري عزّ وجلّ لم يزل فاعلًا متكلماً بمشيئته، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك لأنّ القدرة على الممتنع ممتنع. وهذا فاسد» (شرح العقيدة الطحاوية: ص ١٣٢ طبعة المكتب الإسلامي).

وسيأتي شيء من مسألة «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في البيت رقم (٥٩) الآتي.

٤٥- وقد صيبوا بصيبه: أصيبوا بمطره أي علمه.

٤٦- تصانيف شيخ الإسلام مليئة بالرد على الحشوية والمجسمة والمشبهة، راجع على سبيل المثال:

مجموع فتاواه: (٣/ ٥٠، ١٤١، ٤/ ١٤٤ - ١٥٥، ٥/ ٢٥٨، ٦/ ٤٠، ١٣/ ١٥٤، ١٧/ ٢٩٦)، ومنهاج السنة النبوية. (٢/ ٥٢٠ - ٥٢٢، ٥٥٥ - ٥٦٠ = تحقيق محمد رشاد سالم طبعة جامعة الإمام ١٤٠٦ هـ) وشرح حديث النزول.

في هذه الكتب وغيرها من تصانيف شيخ الإسلام رد على مثل هذه الفرى. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٤٧- طابت مواردها: حسنت مواقعها.

جنى نحل: عسله.

٤٨- الآي: الآيات. والأخبار ساقتها: مؤخرتها.

٤٩- لكِنْ عُيُوْنُ الْعِدَا تُبدي الْمَحَاسِنَ فِيْ ثَوْبِ الْمَسَاوِئِ فَاعْجَبْ مِنْ تَقَلُّبِهِ

٥٠- انظُرْ بِعَيْنِ الرِّضَا تُبْصِرِ بِهَا عَجَباً فَأَعْيُنُ السُّخْطِ عُمْيٌ عَنْ تَعَجُّبِهِ

تهمة الحشو والتجسيم والردّ عليها

٥١- وَسَمْتَ بِالْحَشْوِ أَهْلَ الْحَقِّ إِذ مَلأُوا وَظَائِفَ الْعِلْمِ مِنْ قَوْلٍ بِأَطْيَبِهِ

٥٢- قَوْمٌ أَتَاهُمْ صَحِيْحُ النَّقْلِ فَاتَّبَعُوْا سَبِيْلَهُ وَحَمَوْهُ مِنْ مُكَذِّبِهِ

٥٣- وَأَثْبَتُوْا لإِلهِ الْعَرْشِ مَا ثَبَتَتْ فِيْهِ النُّقُوْلُ بِلا شِبْهٍ يُقَاسُ بِهِ

٥٤- فَرَامَ بَعْضُ أُولِي التَّعْطِيْلِ دَحْضَهُمُ فَآبَ مِنْ قَصْدِهِ الْأَدْنَى بِأَخْيَبِهِ

---

٤٩ - بمعنى:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

٥١- وسمتَ بالحشو: اتهمتَ شيخ الإسلام به.
وقد تقدم في البيت رقم (٤٣) ماله وما عليه.

٥٢- قال الإمام ابن القيم بمعناه:

ما ذنبهم والله إلا أنهم أخذوا بوحي الله والفرقان

٥٣- النقول: نصوص الكتاب والسنة. وقال الناظم في «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد»:

أقرّ بأن الله جلّ جلاله تعالى عن التشبيه والوصف والحصر
سميع بصير ليس شيء كمثله كما جاء في القرآن إن كنت من تدري
فسبحانه من مالك متكبّر تفرد دون الخلق بالعزّ والقهر
وينزل لا تكييف لي في نزوله تعالى سما الدنيا يقول: سلوا سترى
وذلك إذ يبقى من الليل ثلثه كذلك حتى يفصل الليل بالفجر
وربّي كما قد جاء في قوله: «استوى على العرش»، أما كيف ذاك فلا أدري
ومذهبنا: لا كيف لا مثل، لا لما؟ بالإقرار والإمرار من غير مافسر

٥٤- أولى التعطيل: الذين ينفون صفات الله تعالي.
دحضهم: إبطالهم. وآب: رجع.
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله ما قال امرؤ منا بأن الله جسم يا أولي البهتان =

٥٥- فَكُلُّ مَنْ قُصِّرَتْ فِيْ الْعِلْمِ رُتْبَتُهُ ... وَقَلَّ دِيْناً تَجَرَّا فِيْ تَوَثُّبِهِ

٥٦- فَأَحْمَدُ الْمُصْطَفَى عُودِيْ وَقِيْلَ لَهُ ... مُذَمَّمٌ وَتَغَالَوْا فِيْ تَجَنُّبِهِ

٥٧- وَقِيْلَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَوْ رَجُلٌ ... مُعَلَّمٌ كَاهِنٌ يَسْمُوْ بِأَكْعُبِهِ

٥٨- لَوْ كَانَ الِاسْمُ يَشِيْنُ الْفِعْلَ فِيْ رَجُلٍ ... لَشَانَ خَيْرَ الْبَرَايَا مِنْ مُلَقِّبِهِ

= والله يعلم أننا في وصفه ... لم نعد ما قد قال في القرآن

أو قاله أيضاً رسول الله فهـ ... و الصادق المصدوق بالبرهان

أو قاله أصحابه من بعده ... فهم النجوم مطالع الإيمان

سمّوه تجسيما وتشبيها فلسـ ... نا جاحديه لذلك الهذيان

(النونية: ١/ ٣٧٤)

٥٥- قلّ دينا: وفي الأصل: «دنيا» وكذا في طبعة الرياض. والصواب ما أثبتناه.
تجرّا في توثبه: استيلائه ظلماً وعدوانا.

٥٦- قال الشاعر:

قيل إن الإله ذو ولد ... وقيل إن الرسول قد كهنا

ما نجا الله والرسول معا ... من لسان الورى فكيف أنا

٥٧- يسمو بأكعبه: جمع الكعب، هو العظم الناشز فوق القدم. وكذا الكعب ما يلعب به.
أي يسمو بألاعيبه وأوهامه.

وقيل: «ساحر....» إلخ.

ولقد رد الله تعالى على الكفار في تلقيهم النبي ﷺ بمثل هذه الألقاب فقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات، ٥٢ - ٥٣].

وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩ - ٣٠].

٥٨- يشين: يعيب.
قال الإمام ابن قيم الجوزية:

تجد المعطّل لاعنا لمجسّم ... ومشبّه لله بالإنسان

والله يصرف ذاك عن أهل الهدى ... كمحمّد ومذمّم إسمان =

قضية إمكان حوادث لا أول لها

٥٩- أَمَّـا حَـوادثُ لَا مَـبْـدَا لأَوّلِهَـا ... فَذَاكَ مِنْ أَغْرَبِ الْمَحْكِيْ وَأَعْجَبِهِ

= هم يشتمون مذمماً ومحمد ... عن شتمهم في معزل وصيان
صان الإله محمدا عن شتمه ... في اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الاتباع عن شتم المعـ ... ـطل للمشبّه هكذا الإرثان
والسبّ مرجعه إليهم إذ هم ... أهل لكل مذمّة وهوان
وكذا المعطّل يلعن اسم مشبّه ... واسم الموحّد في حمى الرحمن

(النونية: ١ - ٤٠٨)

٥٩- أما حوادث لا مبدأ لأولها:

فقد حصل لغط كثير في هذه المسألة بين الطوائف، فجلّاها شيخ الإسلام في عدد من كتبه، وبين مذهب أهل السنة والحديث، مع الرد على آراء الفلاسفة والمتكلمين. ورماه خصومه بأن القول بإمكان «وجود حوادث لا أول لها» يؤدي إلى التسلسل الممتنع والدور الممتنع، ويؤدي إلى القول بقدم العالم، فاتهموه بشيء هو باطل عندهم اتباعاً لمذهب أهل الكلام المذموم وتمسّكهم بآرائهم، ولكنه حقّ عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة. فصدع بالحق، ولم يخف في الله لومة لائم، لأن المسألة وثيقة الصلة بإثبات صفات الله تعالى.

قضية وجود حوادث لا أول لها:

قال شيخ الإسلام ما ملخصه:

«فيه ثلاثة أقوال:

* قيل: يجوز مطلقاً. . . ولكن المسلمين وسائر أهل الملل يقولون: إن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن. [وهذا أصحّ الأقوال].

وقيل: لا يجوز، لا في الماضي ولا في المستقبل، وهو قول جهم وأبي الهذيل العلّاف (وهذا أضعف الأقوال).

* وقيل: يجوز في المستقبل دون الماضي. وهو قول أكثر أتباع جهم وأبي الهذيل من الجهمية، والمعتزلة والأشعرية، والكرامية، ومن وافقهم» (الصفدية: ١/١٠ - ١١. تحقيق محمد رشاد سالم طبعة الرياض ١٣٩٦ هـ، ومنهاج السنة: ١/٤٣٧ - ٤٣٨، طبعة جامعة الإمام ١٤٠٦ هـ). =

....

= * **هذا القول لا يؤدي إلى التسلسل والدور:**

ولقد ذكر شيخ الإسلام أن القول بوجود حوادث لا أول لها: لا يؤدي إلى التسلسل والدور.

قال ما ملخّصه:

«الدور نوعان:

(أحدهما): الدور القبلي السبقي: ممتنع باتفاق العلماء. مثل أن يقال: لا يكون هذا إلا بعد ذلك، ولا يكون ذاك إلا بعد هذا... فإن الشيء لا يكون قبل كونه، ولا يتأخر كونه عن كونه.

(والثاني): الدور المعي الاقتراني: مثل أن يقال: لا يكون هذا إلا مع ذاك لا قبله ولا بعده. فهذا جائز، كما إذا قيل لا تكون الأبوّة إلا مع النبوّة، وقيل: إن صفات الربّ اللازمة له لا تكون إلا مع ذاته، وعلمه مع حياته، وقدرته مع علمه، ونحو ذلك» (الصفدية: ١/ ٥٢ - ٥٤).

وقسم شارح الطحاوية (ص ١٣٥) التسلسل إلى واجب، وممتنع، وممكن. فقال ما ملخّصه:

* فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته.

* والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد... وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء....

* وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في معلولاته من هذا الطرف كما تسلسل في طرف الأبد. فإنه إذا لم يزل حيا قادراً مريدا متكلما، وذلك من لوازم ذاته فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لايفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كلّ فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن».

هذا القول لا يؤدي إلى القول بقدم العالم:

إن خصوم شيخ الإسلام قد يلزمونه - لأجل قوله بإمكان حوادث لا أوّل لها - بما لا يلزم من القول بقدم العالم.

ولقد ردّ شيخ الإسلام في عديد من كتبه، على هذا الفكر الفلسفي الملحد وكفّر من قال بقدم العالم بقوله:

«ثم يقال لهؤلاء: إن كنتم تقولون بقدم السماوات والأرض ودوامهما، فهذا كفر، =

٦٠- قَصَّرتَ فِيْ الْفَهْمِ فَاقْصُرْ فِيْ الْكَلامِ فَمَا ذَا عُشُكَ ادْرُجْ فَمَا صَقْرٌ كَعُنْظُبِهِ

= وهو قول بقدم العالم، وإنكار انفطار السماوات والأرض وانشقاقهما.

وإن كنتم تقولون بحدوثهما، فكيف كان قبل خلقهما؟ هل كان منتشراً متفرقاً معدوماً ثم لما خلقهما صار موجوداً مجتمعاً؟.

هل يقول هذا عاقل؟.

فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر مع غاية الجهل والضلال، فاختاروا أيهما شئتم» (مجموع فتاواه: ٢/١٨٨).

وفصّل شيخ الإسلام في هذه المسألة أيما تفصيل، وأثبت بالبراهين أنه لا يؤدّي إلى القول بقدم العالم. (منهاج السنة: ١/٣٢٢ - ٢٣٤، والصفدية: ١/٥٤، وقال بعد التقرير والتفصيل: «وذلك لا يدلّ على شيء من قدم العالم»).

القول بامتناع حوادث لا أول لها يؤدّي إلى التعطيل:

قال شارح «الطحاوية» (ص ١٣٨):

«والقول بأن الحوادث لها أوّل يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلًا، ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم والفقر، والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى».

نفي حلول الحوادث بين الرد والقبول:

وقال في شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢٩ - ١٣٠):

«وحلول الحوادث بالربّ تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يردْ نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال.

فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن - فهذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى - لا كأحد من الورى - ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول و والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل».

(راجع للتفصيل في هذه المسألة كتاب: «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث «إمكان وجود حوادث لا أول لها) (٢٢٠ - ٢٤٥).

٦٠- عشّك: موضع الطائر المصنوع من دقاق الحطب في أفنان الشجر.

ماذا عشّك ادرج: امض ليس لك فيه حق، كما يقال: «ليس بعشك فادرجى».

العنظب: الجراد الضخم، أو الذكر الأصفر منه.

٦١- لَوْ قُلتَ قَالَ كَذَا ثُمَّ الجَوَابُ كذا ... لَبَانَ مُخْطِئُ قَوْلٍ مِنْ مُصَوِّبِهِ

٦٢- أَجْمَلْتَ قَولًا فَأَجْمَلْتُ الجَوَابَ وَلَو ... فَصَّلْتَ فَصَّلْتُ تِبْيَاناً لأغْرَبِهِ

٦٣- إنْ قُلْتَ كَانَ وَلَا عِلْمٌ لَدَيْهِ وَلَا ... كَلامَ لَا قُدْرَةٌ أَصْلًا كَفَرْتَ بِهِ

٦٤- أَوْ قُلْتَ أَحْدَثَهَا بَعْدَ اسْتِحَالَتِهَا ... فِي حَقِّهِ سَمْتُ نَقْصٍ ما احْتَجَجْتَ بِهِ

٦٥- وَكَيفَ يُوْجِدُهَا بَعْدَ اسْتِحَالَتِهَا ... مِنْهُ أَيَقْدِرُ مَيتٌ رَفْعَ مَنْكِبِهِ

٦٦- أَوْ قُلْتَ فعْلُ اخْتِيَارٍ مِنْهُ مُمْتَنِعٌ ... ضَاهَيْتَ قَوْلَ امْرِئٍ مُغْوٍ بِأَنصُبِهِ

٦٣- نفت الجهمية المعطّلة عن الله تعالى صفاته العليا، قال الإمام ابن القيم:

ونفوا كلام الرب جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان
قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان
وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان
كلّا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان
ولأجل ذا ضحّى بجعد خالد ... القسريُّ يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلّا ولا موسى الكليم الدانى
شكر الضحية كل صاحب سنّة ... لله درّك من أخي قربان

(النونية: ١/ ٢٦ - ٢٩)

٦٤- سَمْت: صفة:

«يلزم على هذا القول من الفساد أن الله عز وجل لم يزل معطلًا عن الفعل أو غير قادر عليه ثم صار فاعلًا وقادراً من غير تجدد سبب أصلًا أوجب له القدرة والفعل» (شرح النونية: ١/ ٣٥).

٦٦- أنصب: جمع النصب. حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها، ويذبح لغير الله عندها.

ضاهيت: شاكلت، وشابهت.

قال ابن القيم - رحمه الله - في جهم بن صفوان:

وقضى بأن الله كان معطّلًا ... والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدورا له ... من غير أمر قام بالديَّان =

٦٧- وَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِ الْفِعْلِ مُتَّصِفاً وبِالْكَلام بَعِيداً فِي تَقَرُّبِهِ
٦٨- سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ مَا شَاءَ يَفْعَلُهُ فِيْ كُلِّ مَا زَمَنٍ مَا مِنْ مُعَقِّبِهِ
٦٩- نوعُ الكلام كذا نوعُ الفِعَال قَدِيْـ ـمٌ لَا الْمُعَيَّنُ مِنْهُ فِيْ تَرَتُّبِهِ

= بل حاله سبحانه في ذاته قبل الحدوث وبعدها سيّان
(النونية: ١/ ٣٤)

٦٧- قال شارح «الطحاوية»:
«إن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات الكمال، فقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده.

ولا يرد على هذه، صفات الفعل، والصفات الاختيارية ونحوها: كالخلق والتصوير، والإماتة، والإحياء، والقبض، والبسط، والطيّ، والاستواء، والإتيان والمجيء، والنزول، والغضب، والرضى ونحو ذلك عما وصف به نفسه ووصفه به رسوله - وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك رحمه الله: لما سئل عن قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) (الأعراف: ٥٤) وغيرها، كيف استوى؟.

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول (وتتمته: والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» (البخاري مع الفتح: ٦/ ٣٧١: ومسلم: الحديث رقم ١٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه).

لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن. ألا ترى أن من تكلم اليوم، وكان متكلماً بالأمس لا يقال: إنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس، ثم تكلّم، يقال: حدث له الكلام.

فالساكت لغير آفة يسمىّ متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء. وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل.

وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته الكتابة...» (شرح العقيدة الطحاوية: ١٢٧ - ١٢٨).

٦٨- ما من معقبه: ما من شيء جاء بعقبه. وليس أحد يؤاخذ عليه سبحانه وتعالى.
٦٩- قال شارح الطحاوية (ص ١١٢ - ١١٣ ط ثامنة ١٤٠٤ هـ): =

٧٠- وَلَيْسَ يَفْهَمُ ذُوْ عَقْلٍ مُقَارَنَةَ الْـ ... ـمَفْعُوْلِ مَعْ فَاعِلٍ فِيْ نَفْسِ مَنْصبِهِ

٧١- يُحِبُّ يُبْغِضُ يَرْضى ثُمّ يَغْضَبُ ذَا ... مِن وَصْفِهِ أَرْضِهِ بُعْداً لِمُغْضِبِهِ

٧٢- وَالْخَلْقُ لَيسَ هُوَ الْمَخْلُوقُ تَحْسَبُهُ ... بَلْ مَصْدَرٌ قَائِمٌ بالنَّفْسِ فَادْرِبِهِ

٧٣- وقولُ كُنْ لَيسَ بِالشَّيءِ الْمُكَوَّنِ وَالصَّـ ... ـغِيرُ يَعْرِفُ هذَا مَعْ تَلْعِبِهِ

٧٤- فَالْمُصْطَفى قَالَ كَانَ اللّه قَبْلُ وَلَا ... شَيْءٌ سِوَاهُ تَعَالى فِيْ تَحَجُّبِهِ

مؤاخذات أخرى والرد عليها

٧٥- وَقُلْتَ مِنْ بَعْدِ هَذا قَوْلَ ذِي حَسَدٍ ... أَخْطَا الْهُدى وَتَجَارى فِيْ تَنَكُّبِهِ

٧٦- لَوْ كَانَ حَيّاً يَرى قَوْلِيْ وَيَسْمَعُهُ ... رَددتُ مَا قَالَ رَداً غَيْرَ مُشْتَبِهِ

= «وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره... ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لافيما لم يسبقه عدم...

أما إدخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، ومنهم ابن حزم...».

٧٣- وقد ردّ الإمام ابن القيم على نافي صفات الله تعالى قائلاً:

فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ ... ـشبيه والتجسيم بالإنسان

ووقعت في تشبيهه بالناقصا ... ت الجامدات وذا من الخذلان

الله أكبر هُتِّكت أستاركم ... حتى غدوتم ضحكة الصبيان

(النونية: ١/ ١٣٩)

٧٤- أشار به إلى حديث عمران بن حصين ﵁ الذي رواه عن النبي ﷺ وفيه: «قالوا جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر. فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله...» (البخاري: ٦/ ٢٨٦).

٧٥- تجارى في تنكّبه: تسابق في عدوله عنه.

٧٦- من أبيات السبكي، وكذا البيت الذي يليه.

لو كان: أي شيخ الإسلام.

٧٧- كَمَا رَدَدتُّ عَلَيْهِ فِيْ الطَّلاقِ وَفِيْ ... تَـرْكِ الزِّيَـارَةِ أَقْـفُـوْ إِثْـر سَـبْـسَـبِـهِ

٧٨- فَضَحْتَ نَفْسَكَ فِيْ هذَا الْمَقَالِ وَلَمْ ... تَشْعُرْ وَعِجْتَ عَنِ الْمَرْعى وَأَخْصَبِهِ

٧٩- عَرَّفْتَنَا أَنَّ مَا قَدْ قُلْتَ لَيسَ لِوَجْـ ... ـهِ اللّه بَلْ لِلْمرا أَقْبِحْ بِمَنْصِبِهِ

٨٠- إِذْ لَوْ أَرَدْتَّ بَيَان الْحَقِّ قُلْتَ بِهِ ... فِيْ مَحْضَرِ الْخَصْمِ إِمَّا فِيْ مُغَيَّبِهِ

٨١- مَا ذَاكَ صَدَّكَ بَلْ خَوْفُ الْجَوَابِ كَمَا ... أُجِبْتَ قَبْلُ بِسَهْمٍ مِنْ مُصَوِّبِهِ

٨٢- ذَا شَأْنُ مَنْ لَمْ يُجَرِّدْ صَارِماً ذَكَراً ... مَاضِي الْغِرَارَيْنِ عَضْباً مِنْ مُجَرِّبِهِ

٨٣- لكِنْ إِذَا الأَسَدُ الضِّرغَامُ غَابَ عَنِ الْـ ... ـعَرِيْنِ تَسْمَعُ فِيْهِ ضَبْحَ ثَعْلَبِهِ

٧٧- ألف التقي السبكي عدة رسائل في مسألة الطلاق رداً على شيخ الإسلام، ومنها: «الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية» و«نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق» و«النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلّق». وقد فصّل شيخ الإسلام القول في هذه المسألة في عديد من كتبه. راجع البيت رقم (٨٦) الآتي. وكذلك ردّ عليه السبكي في مسألة «شد الرحال» في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» فردّ عليه ابن عبدالهادي في كتابه «الصارم المنكى في الرد على السبكي»، وألف شيخ الإسلام عدة كتب في الموضوع راجع البيت (رقم ٩٢) وراجع ردّ الناظم على السبكي في مسألة الطلاق، في البيت رقم (٨٥) الآتي وما بعده. وفي مسألة شد الرحال، في البيت رقم (٩٢) وما بعده من الأبيات.
أقفو: أتتبع.
إثر: بعد.
السبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.
أقفو إثر سبسبه: أتتبّع غرائبه وشوارده.

٧٨- عجت: انحرفت عنه، ولم ترض به.

٧٩- للمراء: الخصام.
أقبح بمنصبه: ما أقبح منصبه.

٨٠- محضر الخصم: حضور المخاصم.

٨١- صدك: منعك.

٨٢- ماضي الغرارين: ماضي الحدين: الغرار: حد الرمح والسهم والسيف.
عضباً: قاطعا.

٨٣- العرين: مأوى الأسد.
ضبح: ضباح: صوت الثعلب (في الأصل: ضجع»، والصواب ما أثبت).

٨٤- كَذَا الْجَبَانُ خَلا فِيْ الْبَرِّ صَاحَ أَلَا ... مُـبَـارِزٌ وَتَـغـالَى فِـيْ تَـوَثُّـبِـهِ

مسألة الطلقات الثلاث

٨٥- وَلَوْ سَمِعْتَ جَوَابَ الرَّدِ رُحْتَ فَتىَ ... مِنْ أَعْظَمِ الْخَلْقِ عَنْ جُرْمٍ وَأَتْوَبِهِ

٨٦- وَقَدْ كَفَانِيْ أَبو الْعَبَّاسِ كُلْفَتَهُ ... كَذَا أَرَحْتُ لِسَانِي غَيْر مُتْعِبِهِ

٨٤- خلا: انفرد بنفسه.
مبارز: مقاتل.
تغالى: بالغ في ظلمه وعدوانه.
ومثله قول الشاعر:
وجبان قلب أعزل قد رام يأ ... سر فارساً شاكى السلاح بهزه

٨٥- من أعظم الخلق: كذا في الأصل، وفي الهامش: «ولعل الوجه من أبعد الخلق «كما هو ظاهر».

٨٦- أبو العباس: كنية شيخ الإسلام.
لقد كانت هناك اختيارات فقهية لشيخ الإسلام جرت لأجل الإفتاء بها محن وقلاقل.
ومنها:
قوله: «بالتكفير في الحلف بالطلاق».
وأن «الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة».
وأن الطلاق المحرم لا يقع».
وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة، ومنها:
* «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان».
* «القرق المبين بين الطلاق واليمين».
* «قاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفّرة».
* «قاعدة في التقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة».
* «التفصيل بين التكفير والتحليل».
* «اللمعة».
* «مجموع فتاواه» (المجلد الثالث والثلاثون = الطلاق). =

٨٧- وَوَافَقَتْهُ سَرَاةُ النَّاسِ عَنْ كَثَبٍ ... مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ أَوْ غَيْرِ مَذْهَبِهِ
٨٨- مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالآيَاتُ شَاهِدَةٌ ... لَهُمْ وَلِلْحَقِّ مِصْبَاحٌ يَبِيْنُ بِهِ
٨٩- عِبْتَ الَّذِي قَالَ مَا فِيهِ الْخِلافُ مِن إِيْـ ... ـقَاعِ الثَّلاثِ وَلَوْ أَفْتَى بِأَغْرَبِهِ

= توضح هذه الكتب والرسائل والفتاوى والقواعد والأجوبة مذهب شيخ الإسلام في مسائل الطلاق المذكورة المختلف فيها، في ضوء الأدلة من جهة، وتردّ على شبهات معاصريه حولها من جهة أخرى.

من أراد التفصيل في الموضوع فليراجع «مجموع فتاواه» (٣٧/٣٠٦ - ٣٢٤ = الفهارس) لكشف المواضع التي تكلم فيها حول هذه المسائل.

وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق).

ولا يفوتني أن أذكر بهذه المناسبة ما تقدم في مقدمة التحقيق من تحول الملك (خدا بنده) من أهل السنة إلى مذهب الشيعة. وذلك بسبب مخالفة المفتي حديث النبي [في الطلاق الثلاث. واستغله ابن المطهر الحلّي، فأفتى حسب مذهبه الشيعي فحدث ما حدث.

هذا هو جزاء من يخالف السنة ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٨٧- سراة الناس: أعلاهم وأفضلهم.

لقد وافق كبار العلماء في عصورهم، شيخ الإسلام في مسائل الطلاق. وأطال تلميذه النحرير ابن قيم الجوزية النفس في كتبه: «إغاثة اللهفان» و«زاد المعاد»، و«إعلام الموقعين» بما لا يمزيد عليه.

وأيدهما من علماء السنة وفقهاء الحديث بعدهما: الإمام الشوكاني، وصديق حسن خان، وصاحب عون المعبود، وصاحب تحفة الأحوذي وغيرهم من متأخري علماء الهند الأعلام.

ودافع عن شيخ الإسلام من الشعراء: أبو المظفر السرمري (ناظم هذه القصيدة)، والعلامة أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني (وقصيدته تأتي بعد هذه القصيدة)، من المتقدمين. والشاعر الشهير معروف بن عبدالغني الرصافي (١٣٦٤ هـ) من المتأخرين.

راجع كتاب «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق) لكاتب هذه السطور.

٨٨- من أهل بغداد: راجع موافقة أهل بغداد وغيرهم شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال وغيرها في البيت (رقم ٩٢).

٨٩- راجع مبحث الطلاق الثلاث بلفظ واحد في: «إغاثة اللهفان» (١/٢٨٣ - ٣٢٨) و«إعلام الموقعين» (٣/٤١ - ٦٣) و«زاد المعاد (٤/٥١ - ٦٥) كلها لابن قيم الجوزية. =

٩٠- وَقُلْتَ تَنْكِحُ زَوْجاً غَيْرَهُ وَنِكَا ... حُهَا مَعَ الْخُلْفِ باقٍ فِيْ تَذَبْذُبِهِ
٩١- وَكَيْفَ تَنْكِحُ مَنْ لَمْ تَبْرَ عِصْمَتُهَا ... بِلا خِلافٍ لِشَخْصٍ مَعْ تَجَنُّبِهِ

مسألة شدّ الرحال إلى القبور

٩٢- وفي الزِّيَارَةِ لَمْ تُنْصِفْ رَدَدتَّ على ... مَا لَمْ يَقُلْه وَلَمْ تَمْرُر بِسَبْسَبِهِ

= وفيها تقرير لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله تعالى - في هذا الموضوع.
٩٠- مع الخلف: مع الاختلاف.
٩١- لم تبرأ عصمتها: ما برأت من ذمة زوجها. و«استبرأها»: لم يدخلها حتى تحيض».
٩٢- ولم تمرر بسبسبه: أشاربه إلى قول السبكي: «أقفو إثر سبسبه» في البيت رقم (٧٧) المتقدم آنفاً.

لما تطرقت البدع إلى أوساط المسلمين، وبدأوا يعتقدون في المشاهد والقبور، والأضرحة والمزارات ما لم ينزل الله به سلطاناً، من شد الرحال إليها والاستغاثة بأهلها، صارت هذه القضية مفروغا من الكلام فيها عند العلماء، فضلا عن العامة من الناس، واعتبرت من القضايا الحساسة التي تستغل لإثارة غضب الجماهير ضد من يتكلم فيها.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أشرب قلبه بالإيمان الخالص، والعقيدة الصحيحة لمّا سئل عن شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة حينما كان في القاهرة، فردّ عليه ردا مستنبطاً من الكتاب والسنة، ونهى عنه استدلالا بحديث النبي ﷺ:

«لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». (البخاري: ٣/ ٦٣، ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه).

فاستغل هذه الفتيا سنة ست وعشرين وسبعمائة، القاضي المالكي تقي الدين الإخنائي (- ٧٥٠ هـ) بعد صدورها ببضع عشرة سنة، وز اد فيها ونقص ورماه بالتنقيص بمنزلة النبي ﷺ وحرض السلطان عليه تقرباً إليه، وكسبا لعواطف الجماهير من الناس أيضاً وألف رسالة أسماها «المقالة المرضية في الردّ على من ينكر الزيارة المحمدية» (مجموع فتاواه: ٢٧/ ١٨٢).

فرد شيخ الإسلام على الإخنائي وغيره ممن ردّ عليه في هذه المسألة (مثل الزملكاني، والسبكي، وغيرهم) في عديد من كتبه، ومنها:

* «الردّ على الإخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية».
* «المنسك القديم والجديد».
* «الجواب الباهر في زوّار المقابر».

٩٣- رَدّاً مُلَخَّصُه أَشْيَاءُ أَذْكُرُهَا	إِمَّا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ عِنْدَ مَطْلَبِه[١]
٩٤- إِمَّا صَحِيحٌ وَلَكِنْ لَا دَلِيلَ بِهِ	عَلَى مُرَادِكَ بَلْ هَدْمٌ لِمَنْصِبِهِ
٩٥- إِمَّا بِمُجْمَلِ لَفْظٍ قَوْلُ خَصْمِكَ مِنْ	أَقْوَى الْمَقَالِ بِهِ قَسْراً وَأَصْوَبِهِ[٢]
٩٦- إِمَّا بلا عِلْمَ لِيْ وَالْجَهْلُ غَايَتُهُ	أَيُعْذَرُ الشَّخْصُ فِيمَا لَا أَحَاطَ بِهِ[٣]
٩٧- فَأَيُّ رَدٍّ لَعَمْرِيْ قَدْ رَدَدْتَّ وَمَا	ذَا قُلْتَ إِذْ قُلْتَ أَقْفُوْ إِثْرَ سَبْسَبِهِ
٩٨- إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فِيْ شَدّ الرِّحَالِ إِلَى الْ	قُبُوْرِ نَقْلٌ فَعَارِضْهُ بِمَوْكِبِهِ

٩٣- والعجب أن مخالفي شيخ الإسلام لم يستفيدوا من كتبه المليئة بالاستدلال بنصوص الكتاب والسنة على مراده الواضح بل ردّدوا ما عرفوا من الأدلة، وتناقلوها فيما بينهم من دون التأكد من صحتها وضعفها.

وبيّن العلامة ابن عبدالهادي في كتابه «الصارم المنكي في الردّ على السبكي» ما يؤيد ما ذهب إليه ناظم هذه القصيدة، من إهماله النظر في الحديث صحة وضعفا، وإلزامه شيخ الإسلام ما لا يلزم، فقال:

«فإني وقفت على الكتاب الذي ألّفه بعض قضاة الشافعية في الردّ على شيخ الإسلام. . . في مسألة شدّ الرحال وإعمال المطيّ إلى القبور. وذكر أنه كان قد سمّاه «شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة»، ثم زعم أنه اختار أن يسمّيه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، فوجدت كتابه مشتملًا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، أو تحريفها عن مواضعها، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة.

ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلًا مماريًا معجبًا برأيه متّبعًا لهواه. . .».

(الصارم المنكي: ١٨ - ١٩ = طبعة دار الإفتاء بالرياض ١٤٠٣ هـ).

وقال ابن عبدالهادي أيضاً:

«ولقد أخبرني الثقة أنه ألّف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام بمدة كبيرة ليتقرب به القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب، ويحظى لديه، فخاب أمله ولم ينفق عنده. وقد كان هذا القاضي (وهو ابن مخلوف) الذي جمع المعترض (أي السبكي) كتابه هذا لأجله - من أعداء الشيخ المشهورين» (المصدر المذكور: ص ٢١).

٩٥- قسرا: قوة وشدة.

٩٦- أيعذر الشخص: أيقبل له عذر.

٩٩- لِيَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ أَخَا نَظَرٍ ... خَالٍ مِنَ الْعِلْمِ نَاءٍ عَنْ تَعَصُّبِهِ

١٠٠- أَنَّى وَذلِكَ كَالْعَنْقاءِ فِي عَدَمٍ ... وَكَالسَّمَنْدَلِ يُحْكَى مَعْ تَغَيُّبِهِ

١٠١- مَا أَنْتَ إِلَّا كَمَا قَدْ قِيلَ فِي مَثَلٍ ... خَالِفْ لِتُعْرَفَ مَشْهُورٌ لِضُرَّبِهِ

١٠٢- فَشَيْخُنَا بَصَرِيحِ الْحَق حُجَّتُهُ ... وَنَقْدُ نَقْلِكَ زَيْفٌ فِي تَقَلُّبِهِ

١٠٣- فَمَنْ أَحَقُّ بِحَقِّ الْقَولِ إِنْ ظَهَرَ الْـ ... إِنصافُ مُرْتَفِعاً مِنْ فَوْقِ مَرْقَبِهِ

مناقرات أخرى والردّ عليها

١٠٤- وَقُلْتَ مَا بَعْدَهُ لِلرَّدِّ فائدَة ... هذَا وَجَوْهَرُهُ مِمَّا أَضَنُّ بِهِ

١٠٥- مَاذَا الْكَلامُ وَمَا مَعْنَاهُ قُلْهُ لَنا ... أَمَدْح أَمْ هَجْوٌ اعْرِبْ عَنِ مُعَرّبِهِ

١٠٦- مَا ذلِكَ الْجَوْهَرُ الْمَضْنُوْنُ وَيْحَكَ هَلْ ... تَعْنِى بِهِ الشَّيْخَ أَوْ رَدّاً لِمَذْهَبِهِ

١٠٧- فَإِنْ يَكُ الشَّيْخُ مَاذَا الطَّعْنُ فِيهِ أَوِ الْـ ... جَوابُ عَنْ قَوْلِهِ نَوِّرْ بِغَيْهَبِهِ

٩٩- ناء: بعيد.

١٠٠- السمندل: في «لسان العرب»: «أبو سعيد السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه. وقال غيره: هو دابة تدخل النار فلا تحرقه».
وفي «القاموس»: طائر في الهند لا يحترق بالنار».
فالعنقاء، والسمندل، والغنجول طيور معروفة الأسماء مجهولة الأجسام، يضرب بها المثل في الغرابة والندرة والقلة.

١٠١- لضرّبه: لأصنافه وأنواعه.

١٠٢- فشيخنا: شيخ الإسلام حجته صريحة واضحة، وأدلتك ضعيفة مزيَّفة متقلّبة، كما تقدم آنفا في البيت رقم (٩٣).

١٠٣- فوق مرقبه: علوه.

١٠٤- وقلتَ: أشار به الناظم إلى قول السبكي: «وبعده لا أرى للردّ فائدة» إلخ.
مما أضَنُّ بِه: مما يُخصُّ بي.

١٠٦- المضنون: الغالي.

١٠٧- فإن يك الشيخ: إن عنيت به شيخ الإسلام، فقل ما هو الطعن فيه؟ وما هو الجواب عن أقواله وأدلته؟.
غيهبه: ظلامه.

١٠٨- وَالرَّدُّ يَحْسُنُ فِي حَالَيْنِ: وَاحِدَةٍ لَقَطْعِ خَصْمٍ قَوِيٍّ فِي تَغَلُّبِهِ
١٠٩- وَحَالَةٍ لانْتِفَاعِ النَّاسِ حَيْثُ بِهِ هُدَىً وَرِبْحٌ لَدَيْهِمْ فِي تَكَسُّبِهِ
١١٠- كَتْمُ الْعُلُومِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ لِذِيْ عِلْمٍ يَضَنُّ بِعِلْمٍ عِنْدَ طُلَّبِهِ
١١١- وَالرَّدُّ فِي الْحَالَةِ الْأُوْلى مَضَى هَدَراً فَاسْتَدرِكِ الْحَالَ الْأُخرى قَبْلَ مَذْهَبِهِ
١١٢- فَقُلْ وَرُدَّ إِنِ اسْطَعْتَ السَّبِيْلَ إِذاً وَانْفَعْ بِهِ النَّاسَ كَيْ تَحْظَى بِأَثْوَبِهِ
١١٣- حَاشَا وَكَلا وَأَنَّى بِالسَّبِيْلِ إِلى رَدُّ الصوابِ وَقَدْ وَافَى بِكَبْكَبِهِ
١١٤- قُلْ كَيْ تَرَى سُنَناً تَسْتَنُّ فِيْ سَنَنِ الْـ هُدَى تُنَكِّسُ جَهْماً عَنْ تَوَثُّبِهِ
١١٥- وَرَهْطُهُ وَتُرِيْكَ الْحَقَّ أَظْهَرَ مِنْ شَمْسِ الضُّحى وَهِلالًا وَسْطَ غَيْهَبِهِ

علم الكلام ماله وما عليه

١١٦- وَقُلْتَ إِذْ ضاق نَهْجُ الذَّمِّ عَنْكَ له مَا يُوْهِمُ الْغُمْرَ طَعْناً فِيْ جُوَيْنِبِهِ

١٠٨- هذا البيت والذي يليه من أبيات السبكي.
١١٠- كتم العلوم حرام. روى الحاكم عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (المستدرك على الصحيحين: ١/١٠٢ وصححه، ووافقه الذهبي. وراجع صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني (رقم ٦٥١٧).
يضن بعلم: يخصُّ به نفسه دون طلبة العلم.
١١١- الحالة الأولى: هي قطع الخصم وإفحامه. راجع البيت (رقم ١٠٨).
مضى هدراً: ذهب سدى.
الحال الأخرى: هى انتفاع الناس، كما تقدم في البيت (رقم ١٠٩).
١١٢- تحظى بأثوبه: تتمكن مما هو أكثر ثواباً.
١١٣- كبكبه: جماعته.
١١٤- سنن الهدى: نهجه، وجهته.
تنكِّسُ جهماً: تقلبه رأساً على عقب في ظلمه واستيلائه.
١١٦- الغمر: من لم يجرّب الأمر من الحاقدين.
جوينب: تصغير الجانب.

١١٧- وَلَيْسَ لِلْنَّاسِ فِيْ عِلْمِ الْكَلامِ هُدىً	بَلْ بِدْعَةٌ وَضَلالٌ فِيْ تَطَلُّبِهِ
١١٨- أَ أَنْتَ أَمْ هُوَ رَدَّ الْمَنْطِقَ الأَفِنَ الْ	مُغْوِيْ بِأَصْوَبِ مَنْقُولٍ وَأَصْلَبِهِ
١١٩- فَالشَّيْخُ مَا احْتَجَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلامِ بِمَا	يُخَالِفُ النَّقْلَ بَلْ تَكْثِيْرُ مِقْنَبِهِ
١٢٠- أَرَادَ يُعْلِمُ شَيْخَ الرَّفْضِ أَنَّ جَمِيْ	عَ الْخَلْقِ رَدَّ عَلَيْهِ فِيْ تَأَلُّبِهِ
١٢١- وَطَالَمَا دَلَّ أَهْلُ الْعِلْمِ قَاطِبَةً	بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ تَقْرِيْراً لأَصْوَبِهِ

١١٧- من أبيات السبكي.

علم الكلام: «علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام» (التعريفات للجرجاني ص ١٥٦).

والمذموم من علم الكلام ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنة.

وقال الناظم في «نهج الرشاد»:

لا خير في علم الكلام لأنه	خلاف كلام المصطفى الطاهر المطهر
أدلته لا من كتاب وسنة	بل من كلام الأخطل الفاجر العرّ
يدور على التعطيل لا درّ درّه	بتمويه قول في المخارج مزور

١١٨- الأفن: الذي يعجبك ولا خير فيه.

أصلبه: أقواه وأشدّه.

لقد أكثر شيخ الإسلام الردّ على المناطقة في عديدٍ من مؤلفاته، وألف كتاباً مستقلًا في مناقضة أصولهم وقواعدهم، أسماه «نقض المنطق» وهو مطبوع عدة طبعات مستقلًا، وكذا طبع في ضمن «مجموع فتاواه» أيضاً. وهو كتاب مهم جداً في بابه.

وقال الناظم في «نهج الرشادة»:

ويكفي سوائى أنه متمسك	بتعليم المنطق السيء الشر
عقيدته أن الكتاب وسنة النـ	بي معاً ليسا دليلا على أمر
ولكن دليل الأمر والنهي عنده	نتيجة أفكار على عقله يجري
وذاك دليل في الشريعة باطل	لأنا عرفنا الله بالنقل لا الفكر
ومعرفة الرحمن بالعقل فرية	عليه وليس العرف بالشيء كالنكر

١١٩- تكثير مقنبه: أي مجموعة النقل، والنصوص.

١٢٠- شيخ الرفض: ابن المطهّر الحلّى صاحب «منهاج الكرامة».

تألبه: فساده، وتحرضه.

١٢٢- وَهَبْهُ أَخْطَا أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ لَهُ	أَجْرَ اجْتِهَادٍ فَقَصِّرْ فِي تَثَرُّبِهِ
١٢٣- لَقَدْ تَحَجَّرْتَ فِيهِ وَاسِعاً وَكَذَا	كَ الشَّافِعِيُّ الَّذِي تُعْزَى لِمَذْهَبِهِ
١٢٤- ثُمَّ اخْتَتَمْتَ بِقَوْلٍ رَدَّ آخِرُهُ	عَلَى مُقَدَّمِهِ نَكْصاً لاَ عَقِبِهِ
١٢٥- وَلِيَ يَدٌ فِيهِ لَوْلاَ ضُعْفُ سَامِعِهِ	جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيطِي فِي مُهَذَّبِهِ
١٢٦- عِبْتَ الْكَلامَ بَدِيّاً وَافْتَخَرْتَ بِهِ	أَخِيراً اعْجَبْ لِبَانِيهِ مُخَرِّبِهِ
١٢٧- زَعَمْتَ فِيهِ ضَلالاً ثُمَّ قُلْتَ وَلِي	فِيهِ يَدٌ بُسِطَتْ، جَهْلٌ بَجَحْتَ بِهِ
١٢٨- هذَا لَعَمْرِي كَرَامَاتٌ لِصَاحِبِنَا	إِذْ صَدَّ شَانِئَهُ عَنْ كُلِّ مَأْرَبِهِ

١٢٢- هبه: احسبه.

أجر اجتهاد: عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال:

«إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» (صحيح البخاري: ١٣/٣١٧، وصحيح مسلم رقم: ١٧١٦).

تثربه: ملامه وتعييره.

١٢٣- تحجّرت: ضيّقت عليه واسعاً.

تُعزَى لمذهبه: تنسب إليه، والخطاب للسبكي وهو شافعي المذهب. معناه عندي والله أعلم: إنك إذ تحجرت واسعا على شيخ الإسلام في اجتهاده، فالإمام الشافعي - رحمه الله - أيضاً مجتهد ويلزم عليه ما يلزم على شيخ الإسلام.

١٢٤- نكصاً: رجوعاً يقال: نكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من خير.

١٢٥- من أبيات السبكي.

لي يد فيه: لي مهارة في علم الكلام.

بسيطي: البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه الأصلي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعل مستفعلن فاعلن

١٢٦- بدياً: ابتداء.

١٢٧- زعمت فيه: في علم الكلام.

بجحت به: فرحت به.

١٢٨- لصابحنا: لشيخنا شيخ الإسلام.

شانئه: خصمه.

مأربه: حاجته.

١٢٩- وَلَيْسَ هذَا بِحَمْدِ اللّه أَوَّلَةَ   مِنْ الْكَرَامَاتِ فِيْ أَصْحَابِ يَثْرِبِهِ

الانتصار لشيخ الإسلام وبيان عمله وفضله وزهده وتقواه

١٣٠- وَقَعْتَ فِيْ الشَّيخ إِذْ رَدَّ الرَّوَافِضَ فِيْ   قَعْرِ الْحَضِيْضِ وَكَانُوْا فَوْقَ مَرْقَبِهِ

١٣١- أَوْهَمْتَنَا فِيْكَ رَفْضاً فِيْ كَلامِكَ وَالْ   إِنْسَانُ قَدْ يُبْتَلَى مِنْ تَحْتِ مِذْرَبِهِ

١٣٢- وَذَاتُ صَدْرِ الْفَتى تَبْدُوْ لِصَاحِبِهِ   مِنْ فَرَحٍ تَارَةً أَوْ مِنْ تَغَضُّبِهِ

١٣٣- وَلَا اعْتِبَارَ بِنَزْرٍ مِنْ هِجَائِهِمِ   دِيْنُ التَّقِيَّةِ غَالَوْا فِيْ تَلَزُّبِهِ

١٣٤- وَقَدْ كَفَانَا إِمَامُ الْوَقْتِ أَمْرَهُمُ   بِالرَّدِّ إِذْ سَارَ فِيْ شَرْقٍ وَمَغْرِبِهِ

١٢٩- يثرب: اسم مدينة النبي ﷺ.

١٣٠- وقعت في الشيخ: شيخ الإسلام.
قعر الحضيض: غور الأرض.
فوق مرقبه: فوق رقبته.

١٣١- أوهمتنا.. الخ: من حيث إنك تقع في شيخ الإسلام الذي ردّ على خزعبلات الروافض.
مذربه: لسانه.
والإنسان قد يبتلى... الخ:
ويقال: لسانك حصانك، إن صنته صانك، وإن خنته خانك.

١٣٢- ذات صدر الفتى: ما يكنه في صدره من الفضائل أو الرذائل.

١٣٣- نزر: قليل من الكلام يدل على عِيّ.
التقيّة: قال شيخ الإسلام: «والرافضة تجعل هذا في أصول دينها، وتحكي هذا عن أئمة أهل البيت الذين برّأهم الله عن ذلك حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال: «التقية ديني ودين آبائي» - وقد نزّه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك، بل كانوا من أعظم الناس صدقاً، وتحقيقاً للإيمان. وكان دينهم التقوى لا التقية».
(منهاج السنة: ١/ ١٥٩ = الأميرية).
تلزبه: لحوقه ولصوقه وثبوته.

١٣٤- إمام الوقت: شيخ الإسلام.
بالردّ: ردّه على الروافض في كتابه «منهاج السنة».

١٣٥- فَفَضْلُهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ مُضْحِيَةً رَأْدَ الضُّحَى ظَاهِرٌ يَرْمِيْ بَأَشْهُبِهِ

١٣٦- أبدَى أُصُوْلَ الْهُدَى لِلنَّاسِ وَاضِحَةً كَالْبَدْرِ حِيْنَ تَجَلَّى وَسْطَ غَيْهَبِهِ

١٣٧- سَارَتْ تَصَانِيْفُهُ فِيْ الْعَالَمِيْنَ مَسِيْـ ـرَ النَّـيِّـرَيْـنِ مـامـدر عـبـر لـيـه

١٣٨- حَوَى الْعُلُوْمَ مُجِدّاً فِيْ تَطَلُّبِهَا إِذْ غَيْرُهُ الْمَالُ أَضْحَى جُلَّ مَطْلَبِهِ

١٣٥- مضحية: ظاهرة بادية.
رأد الضحى: ارتفاعه.
أشهبه: جمع شهاب: وهو شعلة من نار ساطعة.

١٣٦- أصول الهدى: ما من مسألة لغط فيها الناس إلا وأبدى فيها شيخ الإسلام رأيه المستنبط من نصوص الكتاب والسنة، وجلّاها من غير أن يخاف في الله لومة لائم. وهذا لا يحتاج إلى دليل.

١٣٧- سارت تصانيفه مسير النيرين: الشمس والقمر.
قال الشوكاني: «إنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتدّ به، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته».
(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ١/ ٦٥ = دار المعرفة بيروت).
«وتصانيفه نحوأربعة آلاف كراسة أو أكثر» (المصدر المذكور: ١/ ٧٢). مامدر عبر له: كذا وقع في الأصل بدون نقط. والكلمات غير مقروءة.

١٣٨- حوى العلوم: إليكم ما يدل على حوايته العلوم من قول الحافظ أبي الفتح ابن سيّد الناس اليعمري حيث قال:
«حداني - يعني المزّى - على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين فألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير فهو حامل رأيته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته. برز في كل فن على أبناء جنسه. ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه...» (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني: ١/ ١٥٦ = دار الجيل بيروت).

* وقال الشوكاني:
«أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما» (البدر الطالع: ١/ ٦٤).

١٣٩- لَمْ يَعْلَمُوا عِلْمَهُ مِنْ أَجْلِ ذَا حَسَدُوا وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ مَالَا يَعْلَمُونَ بِهِ

١٤٠- لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْهُ لَا دِينٌ وَلَا وَرَعٌ عَمُوا وَصَمُّوا وَلَجُّوا فِي تَأَنُّبِهِ

١٤١- إِمَامُ صِدْقٍ لَهُ فِي الْعِلْمِ مَرْتَبَةٌ شَمَّا بِمُعْجَمِهِ فِيهَا وَمُعْرَبِهِ

١٤٢- بَدَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا فَرَدَّهَا وَتَمَادَى فِي تَجَنُّبِهِ

١٣٩- كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا علمه والناس أعداء له وخصوم.

١٤٠- لم يثنهم عنه: لم يردّهم من الحسد والحقد عليه.

لجّوا في تأنبه: خاضوا في توبيخه.

قال الحافظ ابن سيّد الناس بعد ما ذكر علمه وفضله:

«. . . إلى أن دبّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وألب أهل النظر على ما ينتقد عليه من أعور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاماً أوسعوه بسببه ملاماً. . .

ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة. . . فآضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوى الضغن عليه من مقاطعيه فوصلوا بالأمراء أمره، وأعمل كل منهم في كفره فكره، فرتّبوا المحاضر، وألّبوا الرويبضة للسعى بها بين الأكابر. (الدرر الكامنة: ١/ ١٥٧).

١٤١- شماء: عالية.

ولا ريب أن شيخ الإسلام كان إمام صدق في المعاصرين، وصار باحتماله المحن والشدائد لسان صدق في الآخرين. قال الإمام الشوكاني:

«وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة وهو حقيق بذاك. والظاهر أنه لو سلم مما عرض له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه، المكدّرة لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره» (البدر الطالع: ١/ ٧٢).

١٤٢- تمادى في تجنبه: تغالى في بعده عنها.

قال الشهاب ابن فضل الله:

«لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة سعبمائة، نزل عند عمّي شرف الدين، وحضّ أهل المملكة على الجهاد (أي ضد التتار) فأغلظ القول للسلطان والأمراء. ورتّبوا له في مقر إقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام، فلم يقبل شيئاً من ذلك. وأرسل له السلطان بقجة قماش، فردّها (الدرر الكامنة: ١/ ١٥٢).

١٤٣- وَغَيْرُه بَذَلَ الدِّيْنَ الْمُكَرَّمَ فِيْ ... تَحْصِيْلِهَا وَتَنَاهَى فِيْ تَوَثُّبِهِ

١٤٤- شَتَّانَ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ يَا سُبْكِي ... كَمْ بَيْنَ صَادِقِ قَوْلٍ مِنْ مُضَرِّبِهِ

١٤٥- فَالْعِلْمُ وَالْفَقْرُ مَقْرُوْنَانِ فِيْ قَرْنٍ ... وَالْمَالُ وَالْزُّهْدُ فِيْ شَرْقٍ وَمَغْرِبِهِ

١٤٦- لأنَّ ذَا الْعَرْشِ يَحْمِيْ أَهْلَ طَاعَتِهِ الدُّ ... نيا حِمَى أهْلِ مَرِيْضٍ مَّا يُضِرُّبِهِ

١٤٧- فَشَيْخُنَا تَرَكَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا ... وَخَصْمُهُ مِنْ هَوَاهَا فَيْ تَعَذُّبِهِ

١٤٨- وَاللّهِ لَوْ لَم يَكُنْ بِالدِّيْنِ مُتَّسِماً ... أَشْمَتَّ فِيْهِ الْأعَادِي عَنْ مُعَتَّبِهِ

١٤٣- تناهى في توثبه: جاوز الحدّ في استيلائه على الدنيا.

* تقدم في شرح البيت رقم (٩٣) أن السبكي ألف كتابه «شفاء السقام» رداً على شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال إلى القبور ليتقرب به إلى القاضي الذي كان من أعدائه فخاب أمله ولم ينفق عنده» (الصارم المنكى ص ٢١).

* قال أبو زرعة (العراقي): قلت مرّة لشيخنا الإمام البلقيني: ما تقصير الشيخ تقي الدين السبكي عن الاجتهاد، وقد استكمل، إليه، وكيف يقلّد؟ قال: «. . . فسكت. فقلت: فما عندي أن الامتناع من ذلك إلا للوظائف التي قدّرت للفقهاء على المذاهب الأربعة، وأن من خرج عن ذلك لم ينل شيئاً من ذلك، وحرم ولاية القضاء، وامتنع الناس من استفتائه، ونُسب إليه البدعة فتبسّم، ووافقني على ذلك» (الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف لولي الله الدهلوي ص - ٧٣ = تحقيق عبدالفتاح أبو غدة) ثم ردّ الدهلوي على هذا القول إحساناً بالظن.

* وطلب التقي السبكي عند وفاته من السلطان أن يولي القضاء ابنه التاج السبكي فأجيب له ذلك.

١٤٤- مضرّبه: مخلّطه.

شتان بين الانتقال من سجن إلى سجن، ومن محنة إلى الأخرى لأجل الصدع بالحق، وبين السعي للحصول على المناصب والتربع على كرسي القضاء في الدولة.

«شتان بينهما في الحكم يا سبكي».

١٤٥- مقرونان: مربوطان.

«لا يطلب العلم براحة الجسم».

١٤٧- راجع البيتين (١٤٢، ١٤٣) مع شرحهما.

١٤٨- متسماً: منهمكاً فيه، ومعروفاً به.

أشمَتَّ. . . . عن معتّبه: أفرحتهم بما يعانيه من عتاب ومحنة ومصيبة.

١٤٩- فَالْفَتْكُ قَيَّدَهُ التَّقْوَى وَمَذْهَبُنَا | تَـرْكُ الْجِـدَالِ وَتَـأْنِـيـبُ لِطَـالِبِـهِ
١٥٠- فَـهـذِهِ نُـبْـذَةٌ أَوْرَدْتُـهَـا عَـجِـلًا | عَـنِ ابْـنِ تَـيْـمِـيَّـةٍ نـصـراً لِمَـذْهَـبِـهِ

١٤٩- الفتك: ركوب ما دعت إليه النفس.

معلوم أن شيخ الإسلام أوذى كثيراً من قبل قضاة الدولة وفقهائها. وكانوا يوالون الجاشنكير الذي تسلطن بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون ظلما.

فلما رجع الملك الناصر إلى الحكم سنة ٧٠٩ هـ قتل الجاشنكير، وحمل شيخه نصر المنبجي الحلولي.. وهلك في زاويته وقتل كثير من رؤوس الشر والفساد. وبهذه المناسبة أراد الملك الناصر أن يقضي على الفقهاء والقضاة الذين خالفوه، ووالوا الجاشنكير وهم الذين تكرّر منهم الإفتاء بقتل شيخ الإسلام حيناً، وبحبسه حيناً آخر. فانتهز الناصر هذه الفرصة واستفتى شيخ الإسلام في قتل بعضهم، فتفطن ما في قلبه، وقال:

«... ففهمت مقصوده أن عنده حنقاً شديداً عليهم لما خلعوه، وبايعوا الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك. أما أنا فهم في حلّ من حقي وجهتي. وسكّنتُ ما عنده عليهم. قال: فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية (الذي ألف السبكي كتابه «شفاء السقام» في الرد على شيخ الإسلام تقرباً إليه) يقول بعد ذلك:

«ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نُبقِ ممكنا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا» (العقود الدرية: ٣٨٢ - ٣٨٣، والبداية والنهاية: ١٤/ ٥٤)، هكذا لم يكن يكفّر من كفره لأنه كان يقول: إن التكفير حق الله ورسوله. والكافر من كفّره الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذا هو معنى قول الناظم: فالفتك قيده التقوى...

١٥٠- نبذة: ناحية من نواحي مناقب شيخ الإسلام، والانتصار لمذهبه: مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين، - رضوان الله عليهم أجمعين -.

وآخر بيت من أبيات السبكي هو:

هو الذي قاله السبكي مرتجلا | وللبسيط انتمي في بعض أضربه

فرد الناظم السرمري عليه بقوله:

فـهـذه نـبـذة أوردتها عـجـلًا | عن ابن تيمية نصراً لمذهبه

❋ ❋ ❋

١٥١- وَالْحَمْدُ للّهِ حَمْداً أَسْتَعِيزُ بِهِ   عَلَى ذَوِي الْبِدَعِ الأَعْدَا لِمَنْصِبِهِ
١٥٢- ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى خَيْرِ الْوَرَى شَرَفاً   وَصَحْبِهِ وَمَنِ اسْتَهْدَى بِكَوْكَبِهِ

* * *

تم هذا التعليق على «الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية» لأبي المظفر العبادي السرمري - رحمه الله تعالى - بعون الله الوهاب وبنعمته تتم الصالحات.

والحمد لله أولًا وآخراً. وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

نيودلهي	بقلم الراجي إلى عفو اللّه الصمد
يوم السبت	**صلاح الدين مقبول أحمد**
١٦/٧/١٤١١هـ، ٢/٢/١٩٩١م	غفر الله له ولوالديه ولإخوانه ومشايخه

قصيدة

في الردّ على التقي السبكي

لأبي عبد اللّٰه الشافعي اليمني



الناظم
أبو عبد اللّه الشافعي اليمني
وقصيدته
في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية

صاحب هذه القصيدة هو: أبو عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني، لم نعثر على ترجمة[١] هذا العالم الجليل إلا أن قصيدته تنبئ عن علمه وفهمه وذكائه، وسلامة معتقده واستقامة دينه وكفى - لأن المهم هو دفاعه عن الحق وانتصاره لمذهب السلف الصالح وهو حاصل بكلامه رَحِمَهُ اللَّهُ أما شخص الإنسان فليس مقصوداً بذاته. ومع هذا وصفه ناشر القصيدة بقوله:

«قال الشيخ الإمام العلّامة أبو عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني»[٢]

قصيدته[٣]:

لقد وفّق الله تعالى الناظم توفيقاً عظيماً فجادت قريحته الوقّادة

---

(١) قال الدكتور محمد رشاد سالم أيضاً: «لم أجد ترجمته في كل المراجع التي بين يديّ». «منهاج السنة: ١/ ١٠٩ مقدمة التحقيق) طبعة جامعة الإمام بالرياض.

(٢) تقاريظ لمنهاج السنة (ص ٧ المطبوعة مع الطبعة الأميرية).

(٣) نشرت هذه القصيدة في «تقاريظ» لمنهاج السنة (٧ - ١١) وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي (ص ١٩ وما بعدها)، ومنهاج السنة (١/ ١١٠ - ١١٧ مقدمة التحقيق وقام المحقق الدكتور محمد رشاد سالم بمقابلة النص المطبوع لهذه القصيدة في «منهاج السنة» (طبع الأميرية) بالنص المطبوع في جلاء العينين. وما كان من كلامه =

بهذه القصيدة الرائعة في الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - والانتصار لمذهبه. وكشف اللثام عن المغالطات والتمويهات التي انطلت على كثير من الناس.

وكان وقعها على أهل البدع والأهواء في غاية من الشدّة حتى رمى أحدهم (وهو كمال أبو المنى الشخص المشبوه) ناظمها بالعمى في البصيرة، والافتتان بابن تيمية[١] لما رأى دفاعه عن الحق وردّه على الباطل بكل قوة وحزم. ولا ريب أن وقيعة أمثال هؤلاء الرعاع في فحول العلماء إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على سلامة عقيدتهم، وكمال دينهم، ودفاعهم عن الحق واجتنابهم من الباطل.

فإن أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

تحتوي هذه القصيدة البليغة الرائعة على مائة وعشرة أبيات مع أبيات التقى السبكي، على النحو التالي:

قدّم الناظم بعشرة أبيات تمهيداً لقصيدته أولًا. ثم ذكر قصيدة السبكي بكاملها وهي ستة عشر بيتاً. وعقّب عليها بردّه المسهب، وبدأ يناقض قصيدته مشيراً إلى كل بيت منها، ففصّل المسائل، وبيّن قوة استدلال شيخ الإسلام عليها في ضوء الكتاب والسنة، وأظهر ضعف متمسّك السبكي وقال:

٧٢ - نزلتَ حول حماه كي تنازله فما علوتَ عليه بل علوتَ به

= وتحقيقه نقلته كما هو، مشيراً في نهايته إلى اسمه بحرف (م) اعترافاً بفضله - رحمه الله - والفضل للمتقدّم.

(١) مقدمة «الرسائل السبكية» (ص ٦٧)، والتوفيق الرباني (ص ٧٧).

وقال في أواخر القصيدة:

١٠٧ - هذا جوابك يا هذا موازنة بحراً وقافية في النظم والشبه

الحمد لله تعالى أولًا وآخراً والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيّبين وأصحابه الغرّ الميامين - رضي الله عنهم أجمعين -.

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه ولإخوانه ومشايخه



نص قصيدة
أبي عبد الله محمد بن يوسف اليمني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١ - الْحَمْدُ للهِ حَمْداً أَسْتَزِيْد بِهِ ... فَضْلَ الإلهِ وَآتِىْ مَا أُمِرْتُ بِهِ
٢- وَأَسْتَعِينُ بِهِ فِيْ كُلِّ مُعْضِلَةٍ ... تَأْتِىْ فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَعِيْنُ بِهِ
٣- فَهْوَ الْإِلهُ الْكَرِيْمُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الْـ ... فَرْدُ الْمُجِيْرُ لِعَبْدٍ يَسْتَجِيْرُ بِهِ
٤- ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ ... شَمْسٌ وَمَا قَدْ سَرَى نَجْمٌ بِغَيْهَبِهِ
٥- وَبَعْدُ فَاسْمَعْ كَلاماً قَدَ تَفَوَّهَهُ ... قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ وَانْتَبِهِ
٦- أَعْنِى أَبَا الْحَسَنِ السُّبْكِيَّ حِيْنَ غَدَا ... يَبْغِى مِنْ الْأَمْرِ مَالَا يَسْتَقِلُّ بِهِ
٧- فَقَالَ يَذْكُرُ مَا رَدَّ الإِمَامُ عَلَى ... حِزْبِ الرَّوَافِضِ رَدّاً غيرَ مُشْتَبِهِ
٨- أعنى ابْنَ تَيْمِيَّةَ الْحَبْرَ الَّذِيْ شَهِدَتْ ... بِفَضْلِهِ فُضَلاءُ النَّاسِ والنُّبُهِ
٩- فَاسْتَحْسَنَ الردَّ حتّى رَاحَ يَمْدَحُهُ ... بِمَا أَزالَ مِنَ الْإِشْكَالِ وَالشُّبَهِ
١٠- لكنه بَعْدَ هذَا الْمَدْحِ خَالَفَهُ ... وَقَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ غير مُنْجَبِهِ

٢- معضلة: مشكلة. وجمعها: المعضلات: المشكلات والشدائد.
٤- بغيهبه: بظلامه.
٥- في «ج» (جلاء العينين للآلوسي) (ص ١٩): «تقوله» (م).
تقي الدين: علي بن عبدالكافي السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ).
٦- ما لا يستقل به: ما لا يحمله.
٧- «ج» (ص١٩): فقال ذلك إذ ردّ الإمام على» (م).
الإمام: شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني (٦٦١ - ٧٢٨ هـ).
٨- الحَبر: العالم الصالح. النبه: جمع النبيه: أهل النبه والفطنة والذكاء.
٩- فاستحسن الردّ: استحسن السبكي ردّ شيخ الإسلام على الروافض في سفره القيم «منهاج السنة النبوية».
١٠- غير منجب: باطل، خلاف المختار.

«قصيدة التقي السبكي»

١١- إنَّ الرَّوَافِضَ قَوْمٌ لَا خَلاقَ لَهُمْ ... مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِيْ عِلْمٍ وَأَكْذَبِهِ

١٢- وَالنَّاسُ فِيْ غُنْيَةٍ عَنْ رَدِّ إِفْكِهِمِ ... لِهُجْنَةِ الرَّفْضِ وَاسْتِقْبَاحِ مَذْهَبِهِ

١٣- وَابْنُ الْمُطَهَّرِ لَمْ تَطْهُرْ خَلائِقُهُ ... دَاعٍ إِلَى الرَّفْضِ غَالٍ فِيْ تَعصُّبِهِ

١٤- لَقَدْ تَقَوَّلَ فِيْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ وَلَمْ ... يَسْتَحْيِ مِمَّا افْتَرَاهُ غَيرَ مُنْجَبِهِ

١٥- وَلِابْنِ تَيمِيَّةٍ رَدٌّ عَلَيهِ وَفَي ... بِمَقْصَدِ الرَدِّ وَاسْتِيفَاءِ أَضْرُبِهِ

١٦- لكِنَّهُ خَلَطَ الْحَق الْمُبِيْنَ بِمَا ... يَشُوْبُهُ كَدَرٌ فِيْ صَفْوِ مَشْرَبِهِ

١٧- يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنَّى كَانَ فَهْوَ لَهُ ... حَثِيثُ سَيرٍ بِشَرْقٍ أَوْ بِمَغْرِبِهِ

١١- لا خلاق لهم: لا نصيب لهم من الخير. قال الإمام ابن قيم الجوزية:
«كل أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف، كما قال ابن المبارك: وجدت «الدين» لأهل الحديث، و«الكلام» للمعتزلة، و«الكذب» للرافضة، و«الحيل» لأهل الرأي، وسوء الرأي والتدبير «لآل أبي فلان» (مختصر الصواعق المرسلة: ٢/٣٥٩، والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٤٨٠ = طبعة السلفة بالقاهرة) راجع البيت رقم (٢٠) مع شرحه من قصيدة السرمري.

١٢- هجنة: ما يعاب به، القبح.

١٣- ابن المطهّر: هو جمال الدين الحسن بن يوسف الحليّ (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة صاحب «منهاج الكرامة» الذي ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية». راجع البيت رقم (١٥) مع شرحه من قصيدة السرّمرّي.

١٤- «ج» (ص ٢٠): «يستحي من افتراء غير منتبه» (م).

١٥- ردّ عليه: أي على ابن المطهّر الحليّ.
«ج»: «استيفاء (م). استيفاء: إعطاء الشيء حقه.

١٧- افترى السبكي على شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. والحشو: لغة: ملء الوسادة وغيرها بشيء، وما يجعل فيها حشو أيضاً.
واصطلاحا: عبارة عن الزائد الذي لا طائل تحته: (التعريفات للجرجاني ص ٨٦ = دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ) راجع البيت رقم (٤٣) مع شرحه، من قصيدة السرّمرّي، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» (٢٠٧ - ٢١٩) لكاتب هذه السطور. والبيت رقم (٤٥) وما بعده من هذه القصيدة.

١٨- يَـرَى حَـوَادِثَ لَا مَـبْـدَا لِأَوَّلِهَـا فِـيْ اللَّهِ سُبْحَـانَهُ عَـمَّا يُـظَـنُّ بِـهِ
١٩- لَوْ كَانَ حَيّاً يَرَى قَوْلِيْ وَيَسْمَعُهُ رَدَدْتُ مَـا قَـالَ رَدّاً غَـيْـرَ مُـشْـتَـبِـهِ
٢٠- كَمَا رَدَدتُ عَلَيْهِ فِيْ الطَّلَاقِ وَفِيْ تَـرْكِ الـزِّيَـارَةِ أَقْـفُـوْ إِثْـرَ سَبْـسَـبِـهِ
٢١- وَبَـعْـدَهُ لَا أَرَى لِلرَّد فَـائِدَةً هَـذَا وَجَـوْهَـرَهُ مِـمَّـا أَضِـنُّ بِـهِ
٢٢- وَالَّرد يَحْسُنُ فِيْ حَالَيْنِ: وَاحِدَةٍ لِقَـطْـعِ خَـصْـمِ قَـوِيٍّ فِـيْ تَـغَـلُّـبِـهِ
٢٣- وَحَالَةٍ لِأنْتَفَاعِ النَّاسِ حَيْثُ بِهِ هُـدَى وَرِبْـحٌ لَدَيْـهِـمْ فِـيْ تَـكَـسُّـبِـهِ
٢٤- وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِيْ عِلْمِ الْكَلامِ هُدَى بَـلْ بِـدعَـةٌ وَضَـلالٌ فِـيْ تَـطَـلُّـبِـهِ
٢٥- وَلِي يَدٌ فِيْهِ لَوْلَا ضُعْفُ سَامِعِهِ جَعَلْتُ نَظْمَ بَسِيْطِي فِيْ مُهَذَّبِهِ

١٨- فرية أخرى على شيخ الإسلام بأسلوب جعل المعروف منكرا، والمنكر معروفاً. فما نسبه السبكي إلى شيخ الإسلام خطأ عنده على مذهب أهل الكلام المذموم، وحق عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح.
(راجع التفصيل في قضية «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في البيت رقم (٥٩) مع شرحه، من قصيدة السرّمرّي، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (المبحث المذكور) (٢٢٠ - ٢٤٥) والبيت رقم (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

١٩- وردّ الناظم: أبو عبدالله الشافعي على السبكي في البيت رقم (٩٩) من قصيدته هذه.

٢٠- «في اللسان»: السبسب: «الأرض القفر البعيدة» والمعنى أنه تتّبع غرائبه وشوارده بالردّ (م).
راجع الردّ في مسألة الطلاق في البيت رقم (٨٦) مع شرحه من قصيدة السرّمرّي، وفي مسألة الزيارة وشدّ الرحال إلى القبور في البيت رقم (٩٢ - وما بعده) من قصيدة المذكور. وسيأتي ردّ الناظم على السبكي في هاتين المسألتين على الترتيب في الأبيات ذات الأرقام (٧٣ وما بعده، و٨٨ وما بعده).

٢١- أضنّ به: أخصّ به.

٢٢- «ج»: تقلّبه: (م).

٢٣- «ج»: «هدى وربح جزيل في تكسّبه» (م).

٢٤- علم الكلام: علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام، (التعريفات للجرجاني ص ١٥٦).
وعلم الكلام المذموم ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنّة.

٢٥- لي يد فيه: لي مهارة في علم الكلام.

=

٢٦- هَذَا الَّذِي قَالَهُ السُّبكِيُّ مُرْتَجِلًا وَلِلْبَسِيطِ انْتَمى فِيْ بَعْضِ أَضْرُبِهِ

الردّ على قصيدة السبكيّ

٢٧- فَقَالَ مُرْتَجِلًا لِلْحَقِّ مُنْتَصِراً عَبْدٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِيْ تَأَدُّبِهِ

٢٨- يا أَيُّهَا الرَّجُلَ الْحَامِيْ لَمَذْهَبِهِ أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ أَمْراً مَا أُمِرْتَ بِهِ

٢٩- تَقُوْلُ فِيْ بَاغِضِي صَحْبِ الرَّسُولِ وَمَنْ يَرَى مَسَبَّتَهُمْ أَصْلًا لِمَذْهَبِهِ

٣٠- وَالنَّاسُ فِيْ غُنْيَةٍ عَنْ رَدِّ إِفْكِهِمِ هَذا هُو الإِفْكُ لكنْ مَا شَعَرْتَ بِهِ

٣١- بَلْ رَدُّه واجِبٌ نُصْحاً ومَعذِرَةً وَنُصرةً لِسَبِيْلِ الْحَقِّ مِنْ شُبَهِ

٣٢- إِذَا تَقَوَّل فِيْ الصَّحْبِ الْكِرَامِ فَمَا ذَا تُوْجِبُوْنَ عَلَيْهِ يَا ذَوِي النُّبَهِ

٣٣- وَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ الشَّخْصَ دَاعِيَةٌ إِلَى الضَّلالِ بِلا رَيْبٍ وَلَا شُبَهِ

= البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه. مستفعلن فاعلن، أربع مرات. وراجع البيت رقم (١٢٥) مع شرحه من قصيدة السرّمرّي.

٢٩- «ج»: يُريكَ سبهم أصلًا لمذهبه: (م).

في باغضي صحب الرسول: في الشيعة الروافض الذين هم أخبث الحيوان على قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وليس في الدنيا قوم يكون السبّ عندهم ديناً إلا هؤلاء الطغام، حتى ذكروا في كتبهم عن أئمة آل البيت - وهم منهم برءاءُ - كذباً وزوراً: أن من يسب فلاناً وفلاناً من الخلفاء الراشدين، فلانة وفلانة من أزواج النبي ﷺ المطهرات فله من الثواب كذا وكذا. فلعنة الله على الظالمين. (راجع البيت رقم (١١) مع شرحه من هذه القصيدة).

٣٠- الشطر الأول من البيت للسبكي.

٣٢- «ج» - (ص ٢١): يا أولى النبه (م). وهم أهل الفطنة والذكاء والعقل.

٣٣- «ج»: بلا ترديد مشتبه (م).

معروف أن الحليّ كان داعية إلى الرفض. وألف كتابه «منهاج الكرامة» لأجل الملك.

الجايتو (خدا بنده) من أحفاد جنكيز خان.

فالحكم على الداعية إلى البدعة يختلف عن الحكم على غير الداعية، فالأول لابد أن يفضح أمام الملأ من الناس لئلا يقعوا في حبائله. والآخر يستحسن أن يناقش معه ليرجع عن بدعته إلى الحق والصواب.

افتراءات على شيخ الإسلام

٣٤- وَمَا نَسَبْتُمْ إِلَى الشَّيْخِ الإِمَامِ تَقِيِّ ... الدِّيْنِ أحمدَ أَمْرٌ لَا يُخَصُّ بِهِ
٣٥- مِنْ قَوْلِكُمْ: خَلَطَ الحقَّ المُبِيْنَ بِمَا ... يَشُوْبُهُ كَدَرٌ فِيْ صَفْوِ مَشْرِبِهِ
٣٦- يُحَاوِلُ الْحَشْوَ أَنَّى كَانَ فَهْوَ لَهُ ... حَثِيثُ سَيْرٍ بَشَرْقٍ أَوْ بمَغْرِبِهِ
٣٧- يَرَى حَوَادِثَ لَا مَبْدَا لِأَوَّلِهَا ... فِيْ اللّه سُبْحَانَهُ عَمَّا يُظَنُّ بِهِ
٣٨- لَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَّ السَّادةَ السَّلَفَ الْـ ... ـمَاضِيْنَ مَا خَرَجُوْا عَمَّا أَقَرَّ بِه
٣٩- هُمُ الْقُرُوْن الأُلَى نَصَّ الرَّسُوْلُ عَلى ... تَفْضِيْلِهِمْ وَأَزَالُوْا كُلَّ مُشْتَبَهِ
٤٠- لَئِنْ رَدَدْتَّ عَلَيْهِ فِيْ مَقَالَتِهِ ... فَقَدْ رَدَدْتَّ عَلَيْهِمْ فَاذْرِ وَانْتَبِهِ

٣٤- «ج»: «وما عزوتم إلى الشيخ الجليل أبى الـ عباس. . .» (م).
أمر لا يخص به: هو ليس بمتفرد به، بل قاله غيره من كبار علماء السلف المتقدمين.

٣٥- «ج»: في قولكم. . . .، والبيت من قصيدة السبكي غير الكلمة الأولى.

٣٦- من قصيدة السبكي، وكذلك البيت الآتي.
وقد تقدم ما يتعلق بالحشو في شرح البتين (٤٣، ٥١) من قصيدة السرّمرّي. وسيأتي في البيت رقم (٤٥) وما بعده، من هذه القصيدة.

٣٧- مضى مبحث «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في شرح البيت رقم (٥٩) من قصيدة السرّمرّي. وراجع كتاب دعوة شيخ الإسلام للتفصيل في هذا الموضوع وسيأتي أيضاً في البيت رقم (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

٣٩- «ج»: هم القرون الأولى في نص سيدنا* حازوا الفخار بأمر غير مشتبه (م).
ورد عن ابن مسعود فيما صح عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي).
هذه هي القرون المشهود لها بالخير التي نص النبي ﷺ على تفضيلها على غيرها من القرون.
وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع إلى ما ذهب إليه أهل هذه القرون المفضّلة.

٤٠- «ج»: أي رددت أيضاً على السلف (م).

٤١- كَـذَا الأَئِمَـةُ أَهْـلُ الْحَـقِّ كُـلُّهُـمُ ... يَرَوْنَ مَا قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا جَبَهِ

٤٢- فَرَدُّكُمْ لَيسَ مخصُوصاً بَوَاحِدِهِمْ ... بَلْ بِالْجَمِيعِ وَهذَا مَوْضِعُ الشَّبَهِ

٤٣- هلا جَمعْتَ الأُلَى قَالُوْا مَقَالَتَهُ ... لِيَسْتَبِيْنَ خَطَاهُمْ مِنْ مُصوِّبِهِ

٤٤- فَكُلُّهُمْ خَلَطُوْا الْحَقَّ الْمُبِيْنَ بِمَا ... يَشُوْبُهُ كَدَرٌ فِي صَفْوِ مَشْرَبِهِ

فرية الحشو والتجسيم

٤٥- إن كَانَ ذَلِكَ حَشَوِيّاً لَدَيْكَ يَرَى ... وَكُلُّهُمْ أَنْتَ تَقفُوا إِثْرَ سَبْسَبِهِ

٤٦- فَالْحشْوُ فِرْيَةُ جَهْمِيٍّ ومعتزِلٍ ... فَامْدَحْ وَذُمَّ بِمَا جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ

٤١- «ج»: ثم الأئمة..... (م).

٤٤- «ج»: خلط.... (م).

٤٥- «ج»: فكلهم كان حشوياً لديك يرى.... (م).

«تقفو إثر سبسبه»: تتتبع شارده ووارده. وراجع شرح البيت رقم (١٧) من هذه القصيدة.

٤٦- هذا البيت ساقط في «ج». (م).

اتّهام السبكي شيخ الإسلام بالحشو والتجسيم ليس جديداً. بل اتهمت الجهمية والمعتزلة أهل السنة والحديث بهذه الفرية. وزد إلى ذلك أن هذه الألفاظ لم يرد ذكرها في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - رداً على الكلابي: «... ذمّ للناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان...

أما هذه الألفاظ الثلاثة (الحشو والتشبيه والتجسيم - وكذا «الحيّز والجهة»(فتاواه: ٥/ ٢٩٨) فليست في كتاب الله، ولا في حديث عن رسول الله ولا نطق بها أحد من سلف الأمة وأئمتها لا نفياً ولا إثباتاً.

وأول من ابتدع الذمّ بها «المعتزلة» الذين فارقوا جماعة المسلمين. فاتباع سبيل المعتزلة دون سبيل سلف الأمة ترك للقول السديد الواجب في الدين، واتباع لسبيل المبتدعة الضالّين.

وليس فيها ما يوجد عن بعض السلف ذمّه إلا لفظ «التشبيه» فلو اقتصر به لكان له قدوة من السلف الصالح...» (فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ١٤٥ - ١٤٧) وإلى هذا أشار الناظم بقوله: فامدح وذُمّ بما جاء الكتاب به.

٤٧- وَانْظُرْ لَوَازِمَ مَا حَاوَلْتَهُ طَلَباً ... فِنَيَّةُ الْمَرْءِ تُلْفَى عِنْدَ مَطْلَبِهِ

٤٨- وَخُذْ أَدِلَّةَ مَا قَالُوْهُ وَاضِحَةً ... مِنَ الْكِتَابِ وَدَعْ مَا قَدْ هَذَوْتَ بِهِ

٤٩- فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ مَازَالَ مُتَّصِفاً ... بِكُلِّ وَصْفِ كَمالٍ عِنْد مُوجِبِهِ

٥٠- ذَاتِيَّةٌ وَكَذَا فِعْلِيَّةٌ وَرَدَتْ ... بِهَا النُّصُوْصُ بِلا رَيْبٍ وَلَا شُبَهِ

٥١- كَمَا تَراهَا عَلَى قِسْمَيْنِ قَائِمَةً ... بِهِ يَقِيْناً يَرَاهَا مِنْ أَقَرَّ بِهِ

٥٢- هُوَ الْقَدِيْمُ بأوصافٍ مُنَزَّهَةٍ ... عَنِ الحُدُوْثِ كَمَا تَأْتِيكَ فَانْتَبِهِ

٥٣- حَيٌّ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ قَادِرٌ صَمَدٌ ... فَرْدٌ جَلِيلٌ عَظِيمُ الشأنِ فَارْضَ بِهِ

٥٤- فَهذِه كُلُّهَا ذَاتِيَّةٌ وَرَدَتْ ... وَمِثْلُهَا فِيْ الْمَعَانِيْ غَيْرَ مُشْتَبِهِ

٤٧- «ج»:

انظر إلى مطلب حاولته طلباً ... فسبة المرء...... (م)

تلفى: توجد.

٤٨- «هذوت»: من الهذيان وهو الكلام غير المعقول.

٤٩- قال صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٢٧):

«إن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: ، صفات الذات وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال فقدها صفة نقص. ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكلام بعد أن كان متصفاً بضدّه....» وراجع شرح البيت رقم (٦٧) من قصيدة السرّمرّي.

٥٠- في «ج» بدل هذا البيت والبيت الذي قبله:

فللإله صفات الذات قد وردت ... بها النصوص بلا ريب ولا شبه (م)

٥٢- «القديم»: ليس القديم من أسماء الله الحسنى إنما من أسمائه الحسنى في هذا المعنى هو: الأول.

قال صاحب «شرح العقيدة الطحاوية (ص ١١٢ - ١٣ = ط. ثامنة):

«وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى... ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم...

وجاء الشرع باسمه «الأول»، وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة».

٥٥- كَذَا وَفِعْلِيَّةٌ فَانْظُرْ مِثَالَهُمَا ... وَقِسْ عَلَيْهِ وارعِ الْفَرْقَ تَنْجُ بِهِ

٥٦- يُحِبُّ يَبْغُضُ يَرْضَى يَسْتَجِيبُ يَرَى ... يَجِيءُ يَأْتِي بِلا كَيْفٍ وَلَا شَبَهِ

إمكان وجود حوادث لا أوّل لها

٥٧- وَخَالِقٌ قَبْلَ مَخْلُوقٍ يُكَوِّنُهُ ... وَقَاهِرٌ قَبْلَ مَقْهُورٍ يَكُونُ بِهِ

٥٨- وَرَاحِمٌ قَبْلَ مَرْحُومٍ فَيَرْحَمُهُ ... وَرَازِقٌ قَبْلَ مَرْزُوقٍ بِأَضْرُبِهِ

٥٩- عَنْ أَمْرِهِ صَدَرَ الْمخْلُوقُ أَجْمَعُهُ ... وَالْأمرُ وَيْحَكَ لَا شكَّ يَقُوْمُ بِهِ

٦٠- وَقَدْ تَكَلَّمَ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْكُتُبِ الْـ ... ـمُنَزَّلَاتِ كَلاماً لَا شَبِيهَ بِهَ

٦١- وَلَمْ يَزَلْ فَاعِلًا أَوْ قَائِلًا أَزَلَا ... إِذَا يَشَاءُ وَهذا الحقُّ فَارْضَ بِهِ

٦٢- هذِيْ حَوَادِثُ لَا مَبْدَا لِأَوّلِها ... بِالنَّصِّ فَافْهَمْهُ يَا نَوَمَانُ وَانتَبِهِ

٥٥- «ج» (ص ٢٢) كذا فعلية... (م).

٥٨- أضربه: أنواعه.

٦٠- في هذا البيت وما قبله من الأبيات ردّ على شيعة الجهم من أهل النفى والتعطيل. وقال الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فيهم:

ونفوا كلام الرب جلّ جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان

وكذلك ليس لربّنا من قدرة ... وإرادة ورحمة وحنان

كلّا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجرّدة بغير معان

وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان

(النونية: ١/٢٦/٢٨)

٦١- راجع شرح البيت رقم (٦٧) من قصيدة السرّمرّي.

٦٢- أي أن تسليمنا بما وردت به النصوص من أن الله تعالى متكلّم فاعل منذ الأزل، هو تسليم بوجود حوادث لا مبدأ لأولها. (م).

راجع التفصيل في مسألة «إمكان وجود حوادث لا أول لها» في شرح البيت رقم (٥٩) من قصيدة السرّمرّي، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» (المبحث المذكور).

٦٣- إِذْ هِي صِفَاتٌ لِمَوْصُوفٍ تَقُوْمُ بِهِ	قَدِيمَةٌ مِثْلُهُ مِنْ غَيْرِ مَا شُبَهِ
٦٤- وَمَذْهَبُ الْقَوْمِ مِرُّوهَا كَمَا وَرَدَتْ	مِنْ غَيْرِ شَائِبَةِ الْتَكْيِيْفِ وَالشَّبَهِ
٦٥- وَلَا يَرَوْنَ بِتَعْطِيْلِ الصِّفَاتِ كَمَا	يَقُوْلُ جَهْمٌ وَمَنْ وَالاهُ فِيْ الشُّبَهِ
٦٦- ما شَبَّهَ اللَّهَ إِلَّا عَابِدٌ صَنَماً	يُدْلِيْ بِأَخْبَثِ مَعْبُودٍ وَأَغْرَبِهِ
٦٧- وَلَا يُعَطِّلُ إِلَّاعَابِدٌ عَدَماً	وَلَيْسَ يَدْرِيْ لَهُ رَبًّا يَلُوذُ بِهِ
٦٨- سِوَى أَبَاطِيْلَ مَا يَخْتَارُه عَبَثاً	يَرَى أَمَانِيَّهُ تَسْرِي بِمَرْكَبِهِ

٦٣- «ج»: إذهل. . . (م).
قديمة مثله: تقدم الكلام آنفاً في صفة «القديم» في شرح البيت رقم (٥٢) من هذه القصيدة.

٦٤- «ج»: ومذهب القوم مرويّ كما وردت» (م).
مروها: أجيزوها.

٦٥- إن سلف هذه الأمة يمرّون الصفات كما جاءت من غير تعطيل، ولا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف. ولكن جهم بن صفوان ومواليه ينكرونها، كما قال ابن القيم:

جهم بن صفوان وشيعته الألى ... جحدوا صفات الخالق الديّان

بل عطّلوا منه السماوات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن

راجع شرح البيت رقم (٦٠) المتقدم من هذه القصيدة.

٦٦- قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -:
«هذه أمثال حسان مضروبة للمعطّل والمشبّه والموحّد. . . . - ثم ذكر عشرة أمثلة ومنها -:
المثل السادس:
قلب المعطّل متعلّق بالعدم فهو أحقر الحقير. وقلب المشبّه عابد للصنم الذي نحت بالتصوير والتقدير. والموحد قلبه متعبّد لمن (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

٦٧- «المعطلة» هم الذين ينفون صفات الله كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة والإسماعيلية، على تفاوت بينهم في هذا النفي والتعطيل». (م).
يلوذ يه: يلجأ إليه.

٦٨- «ج»: لمركبه. (م).
أمانيه: جمع أمنية.
تسري بمركبه: تسير في عامّة الليل.

٦٩- لَا يَسْتَفِيْقُ إِلَى مَا جَاءَ مِنْ أَثَرِ بِمُفْرَدِ الْقَوْلِ مِنْهُ أَوْ مُرَكَّبِهِ

٧٠- وَالجَهْمُ مَعْبُودُهُ يَبْغِيْ تَطَلُّبَهُ وَلَيسَ يَفْهَمُ إِلَّا مَا أَشَارَ بِهِ

٧١- وَالِاتِّحَادِيُّ مَعْ أَهْلِ الحُلولِ لَهُم تَخَلُّلٌ كَنُفَاةِ الْجَهْمِ فَادْرِ بِهِ

٧٢- مِنْ دَرْبِهِ دَخَلُوْا فِيْ كُلِّ فَاسِدَةٍ رَاجَتْ عَلَيْهِم وَمَالُوْامَيْلَ مَغْرِبِهِ

مسألة الطلاق ثلاثاً

٧٣- وَمَا رَدَدتَّ عَلَيْهِ فِيْ الطَّلَاقِ فَمَا حَقَّقْتَ نَقْلًا وَلَا عَقْلًا ظَفِرْتَ بِهِ

٧٤- بَلْ فَاسِدُ الْقَصْدِ أَعْمَى الذِّهْنِ مِنْكَ كَمَا هِيْ عَادَةُ اللّهِ فِيْ شَانِ لِمَذْهَبِهِ

٦٩- لا يستفيق: لا يستريح.

٧٠- جهم: هو ابن صفوان السمرقندي، الضال المبتدع زرع شراً عظيماً، وكان من أكذب الناس على الله، وأعظمهم فتنة وضلالة في الدين.
راجع: ميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ٤٢٦، وشرح البيت رقم (٢٦) من قصيدة السرّمرّي.

٧١- في المطبوعة (مع منهاج السنة):
«مجال في كنفات الجهم فادر به.» - والذي أثبته هو ما في «ج». (م).
تخلّل: نفوذ، وخلّة، وخصلة.

٧٢- «ج»: مفسده. (م).
دربه: بابه.

٧٣- «ج»: عقلًا ولا نقلًا. . . (م).
ألّف التقي السبكي عدّة رسائل في مسألة الطلاق، ردّ فيها، على اختيارات شيخ الإسلام في هذه القضية المهمة. ومن رسائل السبكي:
* «الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية».
* «نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق».
* «النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلّق».
وقد فصّل شيخ الإسلام القول في هذه المسائل في عديد من كتبه. كما تقدّم في شرح البيت رقم (٨٦) وما بعده من قصيدة السرّمرّي. وراجع التفصيل في كتاب «دعوة شيخ الإسلام» (مبحث الطلاق) (٢٦٨ - ٢٧٩).

٧٤- «ج»: أعيا (الذهن) - «هو» (بدل هي).

=

٧٥- نَزَلْتَ حَوْلَ حِمَاهُ كَيْ تُنَازِلَهُ ... فَمَا عَلَوْتَ عَلَيْهِ بَلْ عَلَوْتَ بِهِ
٧٦- وَقَدْ أَجَابَكَ فَانْظُرْ فِي الْجَوَابِ تَرَى ... سَيْفاً تَجُولُ الْمَنَايَا عِنْدَ مَضْرِبِهِ
٧٧- أَخَذْتَ مِنْهُ عُلُوماً فَانْتَصَرْتَ بِهَا ... عَلى سِوَاهُ وَكَانَتْ مِنْ مُهَذَّبِهِ
٧٨- وَحُزْتَهَا مُجْمَلاتٍ مِنْ مُفَصَّلِهِ ... فَفَصِّلِ الآنَ مَا أَجْمَلْتَ تَحْظَ بِهِ
٧٩- وَهكَذَا كُلُّ مَنْ سَارَتْ رَكَائِبُهُ ... يَقْفُو خُطَاهُ فَسَائِلْ مِن مُجَرِّبِهِ
٨٠- وَإِنْ تَبَجَّحْتَ بِالرَّدَّيْنِ لَسْتَ لَهُ ... كُفْؤاً وَلَا أَهْلُ هذا العصرْ فَانْتَبِهِ
٨١- كَمْ بَحْرَ عِلْمٍ أَتَاهُ عَادَ سَاقِيَةً ... وَكَمْ أَزَالَ صَدَى جَهْلٍ بِصَيِّبِهِ

= في الأصل (المطبوع): «فيمن شان مذهبه». والصواب ما أثبته. وفي «جلاء العينين»: «في قالٍ لمذهبه»، وهو بمعناه. (م).

٧٥- «ج»: (علوت) عليله. وهو خطأ. (م).
حماه: محميّه.
تنازله: تقاتله، تقابله.

٧٦- «ج» (ص ٢٣):
قد أجابك فيها خير أجوبة* كالسيف جالت منايا عند مضربه (م).
المنايا: جمع المنيّة: الموت.
راجع فهرس رسائل شيخ الإسلام في توضيح مسألة الطلاق المختلف فيها في شرح البيت رقم (٨٦) من قصيدة السرّمرّي.

٧٧- مهذّبه: ملخصه.

٧٨- حزتها: جمعتها.
تحظ به: ترض به، وزنا ومعنى.

٨٠- «ج»: وإن تبجّحت في ردّ فلست له. . . . (م).
تبجحت: فرحت.
بالرّدّين أي في مسألتين: «الطلاق» وشدّ الرحال إلى القبور. وسيأتي ذكر شدّ الرحال والزيارة في البيت رقم (٨٨) من هذه القصيدة.

٨١- الشطر الثاني في الأصل: وكم جهول أتاه صار منتبه. . .، والذي أثبتناه في (ج) وهو أجود. (م).
«ج»: صار (ساقية). . . (م).

=

٨٢- وَمَا نَرَى لَكُمُ فِيْ الْخَلْقِ فَائِدَةً ... غَيْرَ التَنَعُّمِ فِيْ النَّعْمَاءِ مِنْ شُبَهِ

٨٣- أَيْنَ الثُّرَيَّا مَكَاناً فِيْ تَرَفُّعِهَا ... مِنَ الثَّرى؟ قَالَ هذا كُلُّ مُنْتَبِهِ

٨٤- مَنْ ذَا يَقِيْسُ نَقِيَّ الْجِلْدِ مِنْ دَرَنِ الدُّ ... نْيَا وَأَمْرَاضِهَا يَوْماً بِأَجْرَبِهِ

٨٥- لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ وَمَكْرُمَةٌ ... وَجُوْدُ مَعْرِفَةٍ أَوْ ذِهْنُ مُنْتَبِهِ

٨٦- لَكُنْتَ تَقْفُوْ وَرَاهُ قَفْوَ مُجْتَهِدٍ ... عِلْماً ودِيْناً وَأَمْراً تُفْلِحَنَّ بِهِ

٨٧- لَوْ وَفَّقَ اللّه أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً ... إِلَى الصَّوَابِ لَسَارُوْا خَلْفَ مَذْهَبِه

= ساقية: نهر صغير.

صدى: الحشو، الزايد، الوسخ.

بصيّبه: بمطره، والمراد به العلم.

٨٢- راجع شرح البيتين (٩٣، ١٤٣) من قصيدة السرّمرّي.

٨٣- الثريا: اسم النجم.

الثرى: التراب الندي.

ويقال: أين الثرى من الثريا.

٨٤- درن: وسخ.

أجرب: الذي به جرب.

٨٥- «ج»:

لو كان عند كمو إنصاف مكرمة ... أو نقد معرفة أو ذهن منتبه (م).

٨٦- تقفو: تتبع.

٨٧- قال الدكتور محمد خليل هراس: «هذه دعوة ابن تيمية. إصلاح وإحياء وتجديد. فهو بحقّ أبو النهضة الإسلامية الحديثة، وواضع أساسها. وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهديه اقتدوا، وعلى كتبه تخرّجوا» (ابن تيمية السلفي: ص ١٩٨، طبعة اليوسفية ١٩٥٢م).

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق:

«ولا أعلم لليوم مسألة عقائدية أو أصولية دار فيها بين أبناء الإسلام لغط إلا وجلاها هذا الإمام العظيم، الذي لاغنى اليوم لمسلم يريد أن يعرف الإسلام الحقيقي، عن مطالعة كتبه والتزوّد من عمله». (على ظهر غلاف «لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية).

قضيّة شدّ الرّحال إلى القبور

٨٨- وَمَا نَسَبْتُمْ إِلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِكُمْ ... تَرْكَ الزِّيَارَةِ أَمْرٌ لَّا يَقُوْلُ بِهِ

٨٩- فَقَدْ أَجَابَكُمْ عَنْ ذَا بِأَجْوِبَةٍ ... أَزالَ فِيْهَا صَدَى الْإِشْكَالِ وَالشُّبَهِ

٩٠- وَقَدْ تَبَيَّنَ هذَا فِيْ مَنَاسِكِهِ ... لِكُلّ ذِيْ فِطْنَةٍ فِيْ الْقَوْلِ مُعْرِبِهِ

٩١- رَمَيْتُمُوْهُ بِبُهْتَانٍ يُشَانُ بِهِ ... فَاللّه يُنْصِفُهُ مِمَّنْ رَمَاهُ بِهِ

٩٢- وَفِيْ الْجَوَابِ أُمُوْرٌ مَنْ تَدَبَّرَهَا ... سَقَي الأَنَامَ بِهَا مِنْ صَفْوِ مَشْرَبِهِ

٩٣- وَلَمْ يَكُنْ مَانِعاً نَفْسَ الزيارةِ بَلْ ... شَدَّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا فادْرِ وَانْتَبِهِ

٨٨- «ج»: امراً (م).
راجع شرح البيت رقم (٩٢) من قصيدة السرّمرّي للتفصيل في مسألة زيارة القبور وشدّ الرّحال إليها، وكتاب «دعوة شيخ الإسلام» مبحث شد الرحال إلى القبور).

٨٩- «ج»: فيها (بدل «عن ذا») (م).
وقد ردّ شيخ الإسلام في هذه القضية على عدّة من علماء عصره في كتب مستقلة، ومنها:

* الردّ على الإخنائي.
* الجواب الباهر.
* المنسك القديم، والمنسك الجديد - وغيرها من الفتاوى والكتابات.

٩٠- مناسكه: أي كتبه التي تتعلق بمناسك الحج. مثل: المنسك القديم، والمنسك الجديد، معربه: مبينه، والمفصح عنه.

٩١- يشان: يعاب.
وكذلك رماه الإخنائي في هذه المسألة بما لم يقله. وبيّن ذلك شيخ الإسلام في كتابه «الردّ على الإخنائي».

٩٢- الشطر الثاني في «ج»: ... إليها فوق مركبه. (م).
ولا ريب أن زيارة القبور مستحبّة، وقرّر ذلك شيخ الإسلام في كتبه بما لا مزيد عليه ولا ينكره إلا معاند مكابر.

والذي نهى عنه شيخ الإسلام هو شد الرحال إلى القبور، استدلالًا بحديث النبي ﷺ. «لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد....» (البخاري: ٣/٦٣، ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أبي هريرة ﷺ).

٩٤- تَمَسُّكاً بِصحِيحِ النَّقْلِ مُتَّبِعاً   خَيرَ الْقُرُوْنِ أُولى التَّحْقِيْقِ وَالنَّبَهِ
٩٥- مَعَ الأئِمَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ كُلِّهِم   قَالُوْا كَمَا قَالَ قَوْلًا غَيْرَ مُشْتَبِهِ
٩٦- وَقَدْ عَلِمْتَ يَقِيناً حِينَ وَافَقَهُ   أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى فُتْيَاهُ فَافْتِ بِهِ

الدفاع عن شيخ الإسلام والإشادة بذكره

٩٧- هذَا وَقَدْ قُلْتَ فيمَا قُلْتَ مُرْتَجِلًا   فِيمَا تَقَدَّمَ قَوْلا غَيرَ مُنْجبِهِ
٩٨- لَوْ كَانَ حَيّاً يَرَى قَوْلِي وَيَسْمَعُهُ   رَدَدْتُ مَا قَالَ رَدّاً غَيرَ مُتَشَبِهِ
٩٩- فَابْرُزْ وَرُدَّ تَرَى وَاللّهِ أَجْوِبَةً   مِثْلَ الصَّواعِقِ تُرْدِىٰ مَنْ تَمُرُّ بِهِ
١٠٠- عَقْلا وَنَقْلًا وَآيَاتٍ مُفَصَّلَةً   مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ شَهْمِ الْقَلْبِ مُنْتَبِهِ
١٠١- مَاضِي الْجَنَانِ كَحَدِّ السَّيْفِ فِكْرَتُهُ   يُرِيكَ نَظْماً وَنَثْراً فِي تَأَدُّبِهِ

٩٤- «ج»: مستمسكاً. الألى جاءوا بمذهبه (م).
وقد تقدم آنفا، الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان. وهو مذهب القرون المشهود لها بالخير في ضوء حديث النبي صلى الله عليه وسلم.
٩٥- راجع «الردّ على الإخنائي» (٧ - ١٢).
٩٦- «ج»: فانتبه (بدل: فافت به)... (م).
لقد وافق أهل العراق على ما ذهب إليه شيخ الإسلام في مسألة شدّ الرّحال إلى القبور، وقاموا في الانتصار له والدفاع عنه. (مجموع فتاواه. ٢٧/ ١٨٢ - ١٨٣، ١٩٣).
٩٧- مرتجلًا: تكلمت كلاماً بدون أن تهيئه.
غير منجبه: خلاف الأولى والمختار، باطل.
وفيه إشارة إلى قول السبكي:
هذا الذي قاله السبكي مرتجلا   وللبسيط انتمى في بعض أضربه
٩٨- من أبيات السبكي.
٩٩- الصواعق: جمع صاعقة: وهي نار تسقط من السماء.
تردى: تهلك.
١٠٠- أروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره، أو بشجاعته.
شهم القلب: الذكي الفؤاد المتوقّد.
١٠١- الجنان: القلب.

١٠٢- وَقَادُ ذِهْنٍ إِذَا جَالَتْ قَرِيحَتُهُ	يَكَادُ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ تَلَهُّبِهِ
١٠٣- يُقَابِلُوْنَ الَّذِيْ يَأْتِيْ بِمُشْتَبِهٍ	مِنَ الْكَلامِ وَلَا يَخْشَوْنَ ذَا النَّبَهِ
١٠٤- فَمَنْزِلُ الْقَومِ فِيْ أَعْلَى مَنَازِلِهِمْ	فَلَيْسَ ذُوْ مَنْصِبٍ يُحْمَي بِمَنْصِبِهِ
١٠٥- وَانْظُرْ إِلَى مَنْ طَغَى فِيْ الْأَرْضِ مِنْ أُمَمٍ	وَلَا تَكُنْ سَالِكاً فِيْ إِثْرِ سَبْسَبِهِ
١٠٦- إِنَّ الْإِلَهَ يُجَازِيْ كُلَّ ذِى عَمَلٍ	بِمِثْلِ إِحْسَانِهِ أَوْ قُبْحِ مَكْسَبِهِ

١٠٢- تلهّبه: اشتعاله.

١٠٣- هذا البيت ساقط من «ج». (م).

١٠٤- في الأصل: فنزل (بدل: فمنزل)... (م).

«ج»: ينجو (بدل: يحمي)... (م).

فليس ذو منصب: أي إن المنصب الدنيوي لا يساوي عند الله شيئاً، بل الاعتبار عنده سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال عز من قائل:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤٠ - ٤٢].

١٠٥- إثر سبسبه: وراءهم في أمكنتهم وبلادهم.

بين الله سبحانه وتعالى طغيان كثير من الأمم في كتابه، ثم إهلاكهم لأجل ظلمهم وعدوانهم، فقال تعالى:

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٩].

١٠٦- قال سبحانه وتعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت: ٤٦].

وقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

١٠٧- هَـذَا جَـوَابُـكَ يـا هـذا مُـوَازَنَـةً ... بَـحْـراً وَقَـافِيَـةً فِـيْ الـنَّـظْـمِ وَالـشَّـبَـهِ

١٠٨- وَالْحَمْدُ لله حَمْداً لَا نَفَادَ لَهُ ... جَارٍ عَلَى مُرِّ مَا يُقْضي وَأَطْيَبِهِ

١٠٩- ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى شَرَفاً ... مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى الْهَادِيْ بِمَذْهَبِهِ

١١٠- وَآلِـهِ وَالـصِّـحـابِ الْغُـرِّ كُـلِّـهِـمِ ... مَا أَشْرَقَ الْجَوُّ مِنْ أَنْوَارِ كَوْكَبِهِ

* * *

١٠٧- جوابك يا هذا: أي السبكي.
بحراً: من بحور العروض.
قافية: آخر كلمة في البيت. . . أو هي الحرف تبنى عليه القصيدة.

١٠٨- لا نفاد له: لا انتهاء له.
جارٍ على. . . . في حالة العسر واليسر.

١٠٩- الشطر الثاني في «ج»: «محمد المرسل الهادي لمذهبه» (م).

١١٠- «ج»: قاطبة (بدل: كلّهم). . . (م).
الغُرُّ: من القوم، شرفاؤهم.

* * *

تم هذا التعليق على قصيدة أبي عبدالله محمد بن يوسف الشافعي اليماني - رحمه الله تعالى - بعون الله العزيز القدير. وبنعمته تتم الصالحات. وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

بقلم الراجي إلى عفو اللّه الصمد
صلاح الدين مقبول أحمد
غفر الله له ولوالديه ولإخوانه ومشايخه

نيودلهي
يوم السبت
١٤١١/١١/٢٢هـ، ١٩٩١/٦/٦م

محتويات الكتاب

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة والكمبيوتر
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

كتب للمؤلف

التحقيقات:

* مسألة العلو والنزول لابن طاهر، مكتبة ابن تيمية بالكويت.
* مختصر المؤمل في الردّ إلى الأمر الأول، لابن شامة، مكتبة الصحوة الأولى - غراس الكويت الطبعة الثانية.
* إرشاد النقاد للأمير الصنعاني، الدار السلفية.
* تحفة الأنام لمحمد حياة السندي مكتبة المعلا الطبعة الأولى - غراس الكويت الطبعة الثانية.
* المتواري لابن المنير الإسكندراني مكتبة المعلا.
* الإمتاع بالأربعين، لابن حجر العسقلاني، الدار السلفية.
* الزهر النضر في حال الخضر، له أيضًا. ط. ثانية، مكتبة أهل الأثر بالكويت.
* الحمية الإسلامية للسرّمرّي وقصيدة اليافعي في الدفاع عن شيخ الإسلام - نيودلهي الأولى - غراس الكويت الطبعة الثانية.
* تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (مع الآخرين) دار إيلاف الدولية - بالكويت.
* نقض قواعد في علوم الحديث للراشدي السندي، دار غراس بالكويت.
* الطوامّ المرعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المدهشة، للراشدي السندي، مكتبة أهل الأثر بالكويت.

التعريبات:

* موقف الجماعة الإسلامية من الحديث لمحمد إسماعيل السلفي الدار السلفية بالكويت.

التأليفات:

* دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات المعاصرة (الطبعة الثانية) دار ابن الأثير بالكويت.
* زوابع في وجه السنة قديمًا وحديثًا (الطبعة الثانية) دار ابن الأثير بالكويت.
* المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام، دار إيلاف الدولية بالكويت.
* الأستاذ أبو الحسن الندوي: الوجه الآخر من كتاباته. دار غراس بالكويت.
* سلسلة أركان الإيمان. دار إيلاف بالكويت.
* آلام وآمال. دار غراس بالكويت.